تزايد العنف ضد الرجال يعكس تحولات المجتمع في كردستان

ص15

الجنرال حسان مصالح الجزائر تتعدى ارتدادات الصراعات الضيقة ومشاعر الجحود

ص7

الطبوبي يعود إلى المفاوضات الاجتماعية لتجاوز أزمة اتحاد الشغل

ص2

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2025/06/15

19 ذو الحجة 1446

السنة 48 العدد 13515

Sunday 15/06/2025

48th Year, Issue 13515

موقف موحد بين الحكومة والميليشيات: مصلحة العراق في الابتعاد عن إيران

تصفية قادة عسكريين إيرانيين تدفع بقادة الميليشيات إلى الاختباء تحسبا للانتقام الإسرائيلي

بغداد - تحرص حكومة محمد شياع السوداني على النأي بالعراق عن المواجهة الجارية بين إيران وإسرائيل، واتصلت في الغرض بالولايات المتحدة، كما اتصلت بإيران. وإذا كان الاتصال بالولايات المتحدة مفهوما لإيصال موقف بغداد عن طريقها إلى إسرائيل، فإن الاتصال بطهران يثير التساؤل عما إذا كان العراق فعلا ينأى بنفسه عنها وعن مصالحها أم أن الأمر لا يتجاوز المناورة؟

ويشير مراقبون عراقيون إلى أن موقف العراق هذه المرة من إيران موقف جدي، وأن حكومة السوداني تجد في التصعيد الحالي فرصة لتتحرر من نفوذ إيران وإقناع الأميركيين بأن العراق جاد في الابتعاد عنها، كما تشترط ذلك إدارة الرئيس دونالد ترامب.

وطالبت فصائل عراقية مسلحة موالية لطهران الجمعة بمغادرة القوات الأميركية المنتشرة في البلد ضمن التحالف الدولي، فيما حذرت كتائب حزب الله خصوصا من "مزيد من الحروب في المنطقة" بعد هجمات إسرائيل على إيران. وكشف مسؤول أمني أن "الجميع" في العراق، بمن في ذلك الفصائل المسلحة، "متعاون مع الحكومة لإبعاد العراق عن الصراع."

> دعوة الإطار التنسيقي إلى تحرك دبلوماسي عراقي لوقف الحرب كلام فضفاض لا يتجاوز مجرد الاتصالات الهاتفية

واللافت أن الميليشيات الحليفة لإيران تدفع نحو النأي بالنفس وتحييد العراق في الصراع، مع أن تأسيسها وتدريبها وتسليحها كان استعدادا لمثل هذه الظروف، أي خوض معارك بالوكالة لصالح إيران. لكن من الواضح أن ما جرى لحزب الله وتصفية قيادات الصف الأول سياسيا وعسكريا، ثم مقتل القيادات العسكرية الإيرانية الجمعة، عوامل تدفع الميليشيات إلى الانسحاب وقادتها إلى الاختباء خوفا من انتقام إسرائيلي أو أميركي قاس.

الموت في طهران والمخاوف في بغداد

وعقد الإطار التنسيقي (التحالف الشيعي الحاكم في العراق الحليف لإيران) اجتماعا مع السوداني بعد الضربات الإسرائيلية ضد إيران، ولم يصدر عن الاجتماع أي خطاب تضامني مع إيران، وتمت الدعوة إلى "العمل على تهدئة الأوضاع بالمنطقة من خلال تحركات دبلوماسية يقودها العراق،" وهو كلام فضفاض واقعيا ولا يتجاوز مجرد الاتصالات الهاتفية مع بعض الوزراء في المنطقة.

وبدا النأي بالنفس في سلوك الإطار التنسيقي واضحا من خلال تصريحات رئيس تحالف الفتح هادي العامري التي جاءت هادئة وردد فيها كلاما عاما مثل "السكوت عن الجريمة هو شراكةٌ في تنفيذها، وأنّ الرّد على العدوان حقٌّ مشروع وأمانةٌ شرعية،" وتحميل أميركا "المسؤولية الكاملة عن خرق الأجواء العراقية من قبل الكيان الصهيوني (...) وعلى الحكومة العراقية اتخاذ كافة الإجراءات لمنع تكرار مثل هذه الحوادث المؤسفة."

وشذّت عن الموقف البارد للميليشيات الحليفة لإيران حركة عصائب أهل الحق بزعامة قيس الخزعلي التي قالت في بيان إن "العدوان الإسرائيلي على المدن الإيرانية لن يمر دون عقاب صارم وحازم،" وهو موقف يقول مراقبون إنه لا يتجاوز تسجيل الحضور وعدم إغضاب إيران.

ويحاول العراق، حليف إيران التي تتشارك معه حدودا طويلة وعلاقات تاريخية ثقافية وسياسية، الحفاظ منذ سنوات على علاقته الإستراتيجية مع واشنطن.

وقال مسؤول عراقي أمني كبير لفرانس برس طالبا عدم كشف هويته إن بغداد طلبت من طهران تجنّب استهداف المصالح الأميركية في أراضي العراق، موضحا "تم الطلب ووعدنا الإيرانيون خيرا." وأضاف أن "إيران متفهمة للطلب العراقي."

من جهته قال مسؤول حكومي طلب عدم كشف هويته إن بغداد "طلبت رسميا من الولايات المتحدة عدم السماح للطائرات الإسرائيلية بخرق الأجواء العراقية،" مؤكدا على "أهمية احترام سيادة العراق وسلامة مجاله الجوي."

وأعلن العراق الجمعة رفع شكوى رسمية إلى مجلس الأمن الدولي ضد إسرائيل التي اتهمها باستخدام أجوائه في ضرب إيران. وتابع المسؤول "يجب أن تتحمّل الولايات المتحدة، بصفتها الدولة القائدة للتحالف الدولي، مسؤولياتها ومنع أي انتهاكات تمس أمن العراق أو تعرض استقراره للخطر."

وكانت إيران هدّدت الأربعاء، قبل بدء التصعيد الجاري مع إسرائيل، باستهداف القواعد الأميركية في الشرق الأوسط في حال اندلاع نزاع يكون سببه فشل المباحثات النووية مع واشنطن.

وتنشر الولايات المتحدة زهاء 2500 جندي في العراق ونحو 900 في سوريا المجاورة، في إطار تحالف دولي أنشأته عام 2014 لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية.

وعقب اندلاع الحرب بين إسرائيل وحماس في قطاع غزة في أكتوبر 2023، تبنّت فصائل عراقية مسلحة موالية لإيران إطلاق عشرات الصواريخ والطائرات المسيّرة على مواقع في العراق وسوريا ينتشر فيها جنود أميركيون في إطار التحالف الدولي لمكافحة تنظيم الدولة الإسلامية.

وأعلنت الولايات المتحدة الأربعاء تقليص عدد موظفي سفارتها في بغداد لأسباب أمنية من خلال سحب موظفين "غير أساسيين".

مقتل علي شمخاني مستشار خامنئي في هجوم إسرائيلي

طهران - أكد التلفزيون الإيراني السبت مقتل علي شمخاني مستشار المرشد الأعلى علي خامنئي متأثرا بإصابته خلال هجوم إسرائيلي الجمعة، ليكون بذلك أبرز مسؤول إيراني تتم تصفيته ضمن خطة قادت إلى مقتل قيادات عسكرية بارزة وعلماء مشتغلين في البرنامج النووي.

ويتضمن استهداف شمخاني إشارة واضحة إلى أن إسرائيل قادرة على الوصول إلى الصف الأول السياسي أيضا مثلما فعلت باستهداف جميع القادة العسكريين. كما يحمل رسالة مباشرة إلى المرشد الأعلى مفادها أن خيارات إسرائيل مفتوحة على كل الاحتمالات.

وأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو السبت شن المزيد من الهجمات على إيران بينما لا يظهر أي مؤشر على تهدئة الصراع بين الجانبين.

وقال نتنياهو في خطاب مصور "سترون طائرات سلاح الجو الإسرائيلي فوق طهران في المستقبل القريب، سنهاجم كل موقع وكل هدف لنظام آية الله،" في إشارة إلى المرشد الأعلى.

وأضاف نتنياهو أن الهجمات التي تم شنها حتى الآن لا تُذكر مقارنة بتلك التي سيتم شنها في الأيام المقبلة.

وقال مستشار الأمن القومي الإسرائيلي تساحي هنغبي الجمعة إن إسرائيل لا تخطط في هذه المرحلة لاستهداف القيادة السياسية الإيرانية، وذلك بعد الهجمات على المواقع العسكرية والنووية. وأضاف هنغبي للقناة الثانية عشرة الإسرائيلية أن المرشد الأعلى "ورجالاته... لا توجد حاليا أي خطة لقتلهم."

ويحيل هذا الوضع إلى قرار إسرائيل تصفية قادة حزب الله اللبناني في وقت يسير مرورا بالأمين العام حسن نصرالله وهاشم صفي الدين الذي خلفه ليوم واحد فقط على رأس الأمانة العامة وقيادات بارزة في فرقة الرضوان. وسبق لشمخاني أن شغل منصب أمين المجلس الأعلى للأمن القومي، وهذا المجلس مؤسسة أساسية تضع الخطوط العريضة لسياسات الأمن الإستراتيجي في إيران.

> استهداف شمخاني يحمل رسالة مباشرة إلى المرشد مفادها أن خيارات إسرائيل مفتوحة على المسؤولين السياسيين والعسكريين

وتم تعيين شمخاني، المولود في الأهواز عام 1955، عضوا في المجلس الإستراتيجي للعلاقات الخارجية في عام 2013 بقرار من خامنئي مع تسلم حكومة حسن روحاني مهامها في العام نفسه، وقد تم إدراجه في قائمة العقوبات الأميركية أثناء رئاسة دونالد ترامب الأولى.

وكان لشمخاني، وهو عربي الأصل وخدم في السابق قائدًا للحرس الثوري، فضل في نزع فتيل التوترات الإيرانية المستمرة منذ سنوات مع بعض دول الخليج. ووُصف بأنه مهندس استعادة العلاقات بين إيران والسعودية.

القاهرة تسعى لتجنب تداعيات الحرب على واقع المصريين المعيشي

ارتباك وضع الطاقة يثير التوجس من صيف بلا كهرباء

أحمد حافظ

القاهرة - أربك التصعيد العسكري بين إسرائيل وإيران خطط الحكومة المصرية التي بدأت تستعد لسيناريوهات صعبة بخصوص مستقبل الطاقة في البلاد وتداعيات التصعيد الجديد على المخزون الإستراتيجي من السلع الأساسية، بالتزامن مع أزمة اقتصادية طاحنة، وتململ شعبي من ظروف معيشية قاسية.

وبدأ مصريون يتأهبون للتعامل مع واقع معيشي غير موات، في ظل توجه الحكومة لوقف إمدادات الغاز إلى بعض الأنشطة الصناعية، وما يترتب على ذلك من إمكانية العودة إلى خطة تخفيف الأعمال وانقطاع التيار الكهربائي لفترات طويلة على مدار اليوم، رغم محاولات الحكومة طمأنة المواطنين باستبعاد هذا الخيار.

وقال رئيس مجلس الوزراء مصطفى مدبولي إن بلاده تتابع تطورات الأوضاع في الشرق الأوسط عن كثب، واتخذت الحكومة خطوات فعلية لتعزيز المخزون الإستراتيجي من السلع الأساسية لضمان استقرار الأسواق، وتأمين احتياجات محطات الكهرباء من الوقود، وسط حالة اللايقين الجيوسياسي في المنطقة.

ويتابع مواطنون تداعيات التصعيد بين إسرائيل وإيران، خشية أن تكون لها انعكاسات سلبية مرتبطة باتخاذ خطوات تقشفية من جانب حكومة اعتادت تعليق شماعة بعض القرارات القاسية على عوامل خارجية، برفع أسعار سلع وخدمات أو عدم انتظام الخدمات العمومية مثل التيار الكهربائي.

وحملت نبرة مسؤولين مصريين معنيين بملفات أساسية، مثل القمح والأرز والسكر والكهرباء والغاز والبنزين، أن الحكومة بدأت تتحرك لتهيئة المواطنين للدخول في اقتصاد الحرب، والإعلان عن تفعيل الطوارئ في قطاعات حيوية، أهمها الطاقة.

وترى دوائر سياسية أن التحدي الأكبر للحكومة يرتبط بتهاوي منسوب ثقة الشارع بها، وعدم تيقن البعض من أن الوزارات المتداخلة مع الأزمة لديها خطط بديلة واقعية تخفف عن الدولة والمواطن تداعيات الحرب، أمام شح البدائل المتاحة وعدم الاستعداد المسبق للتعامل مع حالات الطوارئ.

وتجد الحكومة المصرية صعوبات في إقناع الرأي العام بأنها مستعدة لسيناريوهات أكثر صعوبة ترتبط بتوترات إقليمية، لأنها منشغلة بالتنمية والاستثمار دون أن ينعكس ذلك على الوضع الاقتصادي أو يجني المصريون ثمار ذلك على واقعهم المعيشي.

وروجت الحكومة لاكتشافات في حقوق البترول كمحاولة لإقناع الرأي العام الداخلي بأنها على مشارف الاستغناء عن شراء الغاز الطبيعي من إسرائيل وغيرها، والوفاء بالاحتياجات المحلية، لكن الناس فوجئوا بتوقف أنشطة اقتصادية وحدوث ارتباك في مجال الطاقة، لأن حقول الغاز الإسرائيلية توقفت عن الإنتاج.

ويصل عجز الغاز في مصر إلى 3.5 مليار متر مكعب يوميا، تساهم إسرائيل بمليار منها، من خلال حقل ليفياثان البحري وهو أحد أكبر مصادر الغاز في شرق البحر المتوسط، ويستخدم إنتاجه لتلبية احتياجات محلية داخل إسرائيل والتصدير إلى مصر.

وقادت الخطوة إلى تنامي الشعور في مصر باقتراب عودة الحكومة إلى خطة تخفيف أحمال الكهرباء في فصل الصيف، رغم نفي الناطق باسم مجلس الوزراء محمد الحمصاني حدوث ذلك أو التفكير فيه ضمن الخطط البديلة.

وتعهدت الحكومة من قبل بأن ما حدث الصيف الماضي من انقطاع التيار الكهربائي لساعات في مختلف مناطق الدولة، لن يتكرر العام الحالي، مهما كلفها ذلك من مبالغ مالية لاستيراد احتياجات البلاد من الوقود.

ولم تعد لدى الحكومة رفاهية الاعتماد على الغاز الإسرائيلي، على الأقل إلى حين وقف التصعيد بين تل أبيب وطهران، وسط مخاوف من توسع رقعة التوترات الإقليمية بما يضع مصر في مأزق صعب، على مستوى تأمين احتياجات البلاد من الوقود والطاقة وإمدادات السلع الإستراتيجية التي تستورد أغلبها.

> لم تعد لدى الحكومة رفاهية الاعتماد على الغاز الإسرائيلي، على الأقل إلى حين وقف التصعيد بين تل أبيب وطهران

وطمأن رئيس الحكومة المواطنين بأن بلاده تستهدف أن تكون لديها 3 سفن للتغويز بداية من مطلع يوليو المقبل لتكون طاقتها الاستيعابية 2250 قدما مكعبا يوميا، بينما كانت العام الماضي ألف قدم مكعب فقط، مؤكدا وجود تعاقدات على شحنات غاز ولدى الدولة احتياطي من المازوت بكميات معقولة.

وقال وزير التموين شريف فاروق إن الاحتياطي الإستراتيجي من القمح يكفي لأكثر من 6 أشهر والسكر 12 شهرا، والزيوت النباتية 4 أشهر واللحوم والدواجن 12 شهرا، والحكومة تواصل العمل على تعزيز هذا المخزون لتجاوز الحد الآمن وضمان استقرار الإمدادات الغذائية من خلال المزيد من الصفقات.

واتخذت القاهرة إجراءات لتوفير مخزون إستراتيجي من القمح، كأهم سلعة إستراتيجية، لتجنب صعوبات واجهتها الحكومة بعد حرب روسيا وأوكرانيا وتعثر استيراد القمح لفترة طويلة، لكن الميزة الحالية أن التصعيد الإسرائيلي – الإيراني تزامن مع انتهاء موسم حصاد القمح في مصر قبل أيام.

وما يطمئن الحكومة نسبيا أن المواجهات العسكرية تتزامن مع تحسن وضع الاحتياطي الأجنبي الذي وصل نهاية مايو الماضي إلى 48.525 مليار دولار، ما يُمكّن الدولة من تغطية وارداتها من السلع والاحتياجات الأساسية لنحو 8 أشهر.

ويقول مراقبون إن التحركات الحكومية المتشعبة تشير إلى وجود استعدادات مبكرة للأزمة، لأن مصر حذرت من التصعيد الإقليمي وتداعياته الخطيرة، وكانت تدرك أن ما حدث سيقع فعليا، لذلك لا يمكن القول إن الحكومة تفاجأت أو بلا خطط بديلة.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

الطبوبي يعود إلى المفاوضات الاجتماعية في القطاع الخاص لتجاوز أزمة اتحاد الشغل التونسي

المنظمة النقابية تعبر عن استعدادها لكل السيناريوهات المحتملة أثناء المفاوضات

عاد نورالدين الطبوبي، الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل، مجددا إلى التفاوض الاجتماعي مع السلطة في تونس بشأن القطاع الخاص بعد فترات راوح فيها بين التصعيد والهدنة، أملا في استرجاع دور سياسي مفقود، والتغطية على مشاكل "المطبخ الداخلي" للمنظمة النقابية.

خالد هدوي

مراوحة بين التفاوض والإضرابات

تونس - يلوّح الاتحاد التونسي للشغل (أكبر منظمة نقابية في البلاد) بورقة العودة إلى المفاوضات الاجتماعية في القطاع الخاص، وهو ما يعتبره المراقبون توجها جديدا للتغطية على أزمته الداخلية وتجاوز خلافاته.

وتقول أوساط سياسية إن السلطة لم تقص اتحاد الشغل بعد إجراءات الرئيس قيس سعيد في 25 يوليو 2021، بل إن المنظمة النقابية أقصت نفسها بنفسها، فخصص "مسار 25 يوليو" مربعا خاصا لتحركات الاتحاد بالاقتصار على الدور النقابي دون التفكير في ممارسة دور سياسي دأبت قيادات المنظمة عليه بعد 2011.

وترى تلك الأوساط أن المنظمة النقابية، ومن ورائها نورالدين الطبوبي، فشلت بعد التصعيد عدة مرات ضد السلطة، في تصدير أزمتها الداخلية إلى الخارج وخصوصا نحو سلطة ما بعد 25 يوليو 2021.

وأكّد نورالدين الطبوبي انفتاح وزير الشؤون الاجتماعية ورئيس اتحاد الصناعة والتجارة على استكمال المفاوضات الاجتماعية في القطاع الخاص والتي من المنتظر أن تستأنف الأسبوع المقبل. وعبّر الطبوبي في كلمة لدى إشرافه على ندوة للإطارات النقابية بمقر الاتحاد الجهوي للشغل في سوسة عن استعداد الاتحاد لكل السيناريوهات المحتملة أثناء المفاوضات الاجتماعية التي تهم القطاعات الثلاثة "كلّفهم ذلك ما كلفهم"، معتبرا أن "هذا استحقاق لاسيما في ظل تدهور المقدرة الشرائية التي باتت لا تطاق."

ووصف الطبوبي هذه المفاوضات بالاستثنائية باعتبار تزامنها مع تسارع الأحداث خاصة الاجتماعية والاقتصادية. وأفاد المحلل السياسي نبيل الرابحي بأنه "بعد فشل اتحاد الشغل في تصدير أزمته الداخلية نحو الحكومة، تبيّن اليوم أنه فاتح ذراعيه وأن خطاب المكابرة والتخوين قد انتهى."

وقال في تصريح لـ"العرب"، "ربما يريد الطبوبي طي صفحة الماضي والمضي قدما للمشاركة مع الحكومة في الإصلاحات الاجتماعية وإرساء أسس الدولة الديمقراطية الاجتماعية."

ولفت الرابحي إلى أن "الاتحاد هو من أقصى نفسه بنفسه، وأراد التصعيد مع الحكومة في عدة فترات، لكن المهم أنه الآن تخلص من خطاب المكابرة، والصراعات الداخلية يمكن حلها بين النقابيين المنتمين إلى المنظمة."

وتصاعدت الأزمة داخل الاتحاد العام التونسي للشغل، ووصلت إلى حد المطالبة بإقالة أمينه العام نورالدين الطبوبي، مع تحذيرات من احتمال انقسامه ما يعتبر من أكبر الأزمات التي شهدتها المنظمة العمالية الأبرز في تونس. وفي نهاية شهر مايو الماضي فشل اجتماع الهيئة الإدارية (أعلى سلطة في الاتحاد)، الذي استمر 3 أيام بمدينة الحمامات (شرق)، في تحديد موعد للمؤتمر القادم للاتحاد.

نبيل الرابحي

يبدو أن اتحاد الشغل تخلص من خطاب المكابرة

وإثر ذلك عاودت الهيئة الإدارية الانعقاد واعتمدت مقترح عقد المؤتمر العادي للاتحاد أيام 25 و26 و27 مارس 2026 والشروع من الآن في الإعداد لذلك، وفق ما أورده موقع "الشعب نيوز" الناطق باسم الاتحاد العام التونسي للشغل.

وكان من المقرر عقد المؤتمر في موعده العادي عام 2027، قبل نشوب الخلافات النقابية.

وأكد الناشط السياسي محمد صالح الجنادي لـ"العرب" أنه "يفترض أن تكون هناك مفاوضات قبل تنفيذ الإضرابات الأخيرة، وما أثار الأزمة الداخلية لاتحاد الشغل هو الإضرابات وخلق نوع من التوتر داخل المنظمة النقابية." وأوضح أن "الاتحاد استغل الضعف السياسي لأحزاب وحكومات ما بعد 2011."

ويرى متابعون للشأن التونسي أنه كان بالإمكان منذ البداية التخفيف من وطأة الأخطاء المرتكبة داخل اتحاد الشغل، وخصوصا أن تعترف القيادة بوجود أزمة حقيقية، مع العمل على تجاوزها بخطاب واضح المضامين.

وكثيرا ما استخدمت المنظمة النقابية ورقة الإضراب العام في إطار الضغوط الممارسة على السلطة حيث أقرت المنظمة العمالية الأبرز في تونس الإضراب العام خلال فترات عديدة وفي مواجهة مختلف الحكومات.

وسلك الصدام بين اتحاد الشغل والسلطة السياسية القائمة في بعض الأحيان منعطفا خطيرا، لكن قيس سعيد كان واضحا في موقفه الرافض لاستنساخ التجربة السابقة عندما كانت المنظمة النقابية شريكا في رسم السياسات واتخاذ القرارات، إذ يرى في ذلك مساسا بشرعية مسار 25 يوليو.

وفي الكثير من المناسبات فشل اتحاد الشغل في تجييش الشارع في المواجهة مع الرئيس سعيد، لاسيما وأن الرئيس يحظى بتأييد فئات واسعة من التونسيين الذين يحمّلون المنظمة النقابية مسؤولية بعض الأزمات التي عاشتها البلاد خلال العشرية السابقة، فيما يذهب البعض إلى حد المطالبة بوضع حد لما يصفه بـ"تغول" الاتحاد.

قافلة الصمود تواجه صعوبات في التموين بسرت

تونس - تواجه "قافلة الصمود" العالقة في مدخل مدينة سرت شرق ليبيا صعوبات ترتبط بالتموين والاتصال عبر شبكة الإنترنت المعطلة بفعل "عمليات التشويش".

وتنتظر القافلة منذ يومين ترخيصا من سلطات شرق ليبيا الخاضعة لحكم المشير خليفة حفتر، للمرور ومواصلة الطريق نحو الحدود المصرية ومنها إلى معبر رفح في محاولة لكسر الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة المنكوب، بمشاركة وفود أخرى دولية كانت قد وصلت عبر رحلات جوية إلى مصر.

وأعلنت تنسيقية تشرف على مسار القافلة في بيان لها عن تعرضها لعمليات تشويش وقطع للإنترنت في دائرة نصف قطرها 50 كيلومترا بالقرب من بوابة سرت، على الطريق الساحلي، بدأت منذ مساء الخميس بشكل أساسي.

وأشارت إلى وجود طوق أمني وعسكري حول المخيم ومنع تام لدخول أو خروج أي شخص إلى جانب حظر دخول المواد الغذائية واللوجستية.

والجمعة ناشد المتحدث باسم القافلة وائل نوار أهالي المناطق القريبة توفير مياه شرب وحمامات متنقلة للقافلة الرابضة في طريق صحراوي.

وقال شاكر جهمي، وهو صحافي تونسي يشارك في القافلة، من المخيم "كل المداخل مغلقة ومنع عنا أي إمداد للأكل والشرب. نحن تحت رقابة الطائرات المسيرة على امتداد اليوم بلا اتصالات ولا إنترنت نتيجة التشويش المتعمد."

وذكرت تقارير إعلامية وجود إيقافات لعدد من صناع المحتوى كانوا من بين المشاركين في القافلة. ولم يتسن التأكد من صحة هذه الأنباء من أعضاء التنسيقية.

وفي وقت سابق قالت الحكومة الليبية المكلفة من مجلس النواب إنها تسمح للأجانب بدخول أراضيها بشرط حصولهم على الإجراءات القانونية الكاملة، وذلك في أعقاب توقف قافلة الصمود المغاربية على أبواب مدينة سرت وإصرارها على التوجه إلى قطاع غزة وكسر الحصار الإسرائيلي.

جاء ذلك في بيان لوزارة الداخلية بالحكومة الليبية المكلفة من البرلمان برئاسة أسامة حماد، ردا على تصريحات صدرت عن ناطقين باسم القافلة حول منعهم من التقدم نحو شرق ليبيا في اتجاه المعبر المصري المحاذي لقطاع غزة.

وغادرت القافلة تونس منذ يوم التاسع من يونيو الجاري بمشاركة أكثر من 1700 شخص من بينهم نشطاء وأطباء وحقوقيون ووفد قادم من الجزائر، وهي تخطط للوصول إلى معبر رفح. لكن هذا الأمر يظل مستبعدا حتى الآن.

المغرب يواصل اعتماد سياسة التقشف المائي رغم تحسن مردود السدود

الرباط - رغم التحسّن الذي عرفه مخزون السدود من الموارد المائية في المغرب، والذي تجاوز 39 في المئة، تستمر السلطات في تطبيق نفس الإجراءات الميدانية التي أقرتها سابقا، تماشيا مع إكراهات مرحلة الجفاف وقلة التساقطات المطرية.

ويشهد المغرب اليوم تأثيرات متزايدة للتغيرات المناخية على مختلف موارده المائية، سواء الجوفية أو السطحية، ازدادت حدتها بشكل أكبر خلال السنوات الماضية، التي شهدت انحسارا في التساقطات، وتتجلى هذه التأثيرات في عدة جوانب.

وتمّ الإبقاء على مظاهر "اليقظة" في جهات المغرب الاثنتي عشرة، سواء تعلق الأمر باليقظة المرتفعة أو المنخفضة أو حتى دون يقظة.

وحسب المعلومات التي وفّرتها منصة "الماء ديالنا" التي تشرف عليها وزارة التجهيز والماء، فإن السلطات العمومية بجهة الرباط – سلا – القنيطرة تواصل الحرصَ على منع استعمال ماء الشرب لغسل وتنظيف الساحات والشوارع العمومية، مع الحث على استعمال المياه المعالجة، وكذلك تطبيق إجراءات الضبط الإداري الخاصة لمواجهة المخالفين لهذه المقتضيات.

ويتم في تراب الجهة نفسها، لاسيما سلا، حصرُ فترة اشتغال الحمامات ومحلاّت غسل السيارات في أربعة أيام فقط، مع تفعيل عمل الهيئات المكلفة بضبط وزجر المخالفات المرتبطة بتبذير الموارد المائية. زد على ذلك منعَ ملء المسابح العمومية والخاصة أكثر من مرة في السنة، إلى جانب تدابير أخرى تروم الوصول إلى الهدف نفسه.

وإضافة إلى هذه الإجراءات تواصل سلطات جهة الدار البيضاء – سطات (ذات مستوى اليقظة المرتفع) تقنين زراعة الجزر والزراعات الأكثر استهلاكا للماء في 5 آلاف متر مكعّب للهكتار في السنة، ومنع غير المنضوين تحت لواء الجمعيات المرخص لها بممارسة هذه الزراعات.

ويتم كذلك منع استغلال الموارد المائية الجوفية عن طريق الآبار أو الأثقاب أو مجاري المياه أو الوديان دون ترخيص من الجهة صاحبة الاختصاص، فضلا عن منع كُليّ لزراعة العشب الطبيعي، ومنع مماثل لسقي ملاعب الغولف باستعمال الماء الصالح للشرب، مع إعداد برنامج لإعادة استعمال المياه العادمة المعالجة.

وتنضم جهة درعة – تافيلالت إلى الجهات الأخرى ذات مستوى اليقظة المرتفع (اللون الأحمر)، إذ لا تزال تعرف منع زراعة البطيخ بنوعيه الأحمر والأصفر، لاسيما في إقليم تنغير، مع تعليق البتّ في تراخيص إنجاز المنشآت والمشاريع الاستثمارية الجديدة الزراعية والصناعية وغيرها المستهلكة للماء، بإقليم الرشيدية تحديدا.

وليست وضعية الموارد المائية بجهة سوس – ماسة مُطمئنة، على الرغم من بقاء مستوى اليقظة منخفضا؛ إذ تواصل السلطات العمومية تقنين الزراعة ومنع الزراعات الموسمية المستهلكة للمياه، إلى جانب ضبط أنشطة الحمّامات وغسل السيارات.

شح الموارد يهدد الأمن المائي للمغرب

وتتشارك جهتا طنجة – تطوان – الحسيمة وفاس – مكناس مع سوس – ماسة في المستوى نفسه من اليقظة المنخفض، إذ تواصلان بدورهما اللجوء إلى منع زراعة العشب وسقي الملاعب بالمياه الصالحة للشرب، فضلا عن زجر جميع عمليات استخراج المياه بطرق غير قانونية.

> **السلطات تواصل منع الزراعات الموسمية المستهلكة للمياه، وضبط أنشطة الحمامات وغسل السيارات**

وتهدف هذه التدابير إلى التجاوب مع تداعيات شح الموارد المائية، نتيجة لتوالي سنوات الجفاف بالأقاليم الجنوبية للمملكة، ويتم بطائطان منعُ تنظيف وغسل الشوارع العمومية والطرقات بالماء الصالح للشرب، مع منع سقي المساحات الخضراء ومنع سحب المياه من الآبار دون ترخيص.

وتنسحب مجمل هذه التدابير على أقاليم أخرى، كأسا الزاك والسمارة، في وقت لا تورد فيه المنصة سالفة الذكر التابعة لوزارة التجهيز والماء معلوماتٍ عن هذه التدابير بجهة الداخلة – وادي الذهب وكذلك أقاليم العيون وطرفاية وبوجدور.

وكان وزير الداخلية المغربي عبدالوافي لفتيت تحدّى الأسبوع الماضي النواب البرلمانيين بشأن وجود مناطق في المغرب تعاني من العطش، إذ لفت إلى أن السلطات العمومية اتخذت إجراءاتٍ ميدانية لإيصال المياه إلى المواطنين، ولو باستخدام الصهاريج، لاسيما في القرى.

وانتهج المغرب سياسة مائية لمواجهة ندرة المياه في فترات الجفاف، تعتمد على بناء السدود لتجميع مياه الأمطار، والربط بين الأحواض المائية، ومعالجة المياه العادمة، وبناء محطات لتحلية مياه البحر، والاقتصاد في استعمال الماء، ثم التدبير الجيد للمياه الجوفية.

وفي ظل استمرار سنوات الجفاف، وبروز مجموعة من الظواهر المناخية المتطرفة بفعل التغيرات المناخية، وارتفاع الطلب على المياه بفعل التوسع العمراني والمشاريع الزراعية والصناعية وغيرها، بات المغرب مطالبا بالاستعداد لمواجهة تحديات جديدة تهدد أمنه المائي.

وشهد المغرب مؤخرا تراجعا ملحوظا في كميات الأمطار، ما يؤثر سلبا على تغذية المياه الجوفية والموارد السطحية، كما أن توالي سنوات الجفاف زاد من حدة شح المياه، بينما تسبب ارتفاع درجات الحرارة في استنزاف المياه بتحفيزه لتبخرها، ناهيك عن تسريع ذوبان الثلوج في الجبال، التي تعتبر مصدرا هاما للمياه في بعض المناطق.

وأثرت التغيرات المناخية أيضا على السدود والمياه الجوفية، حيث أدى انخفاض التساقطات وارتفاع درجات الحرارة إلى تراجع مخزون السدود، ما خلق تحديات كبيرة للقطاع الزراعي وأثر على تزويد المدن بمياه الشرب، كما أثر على القطاع الصناعي.

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

بداية غير موفقة للفيلق الأفريقي في منطقة الساحل

جبهة تحرير أزواد تكبد تحالف مالي - روسيا خسائر عسكرية مفاجئة

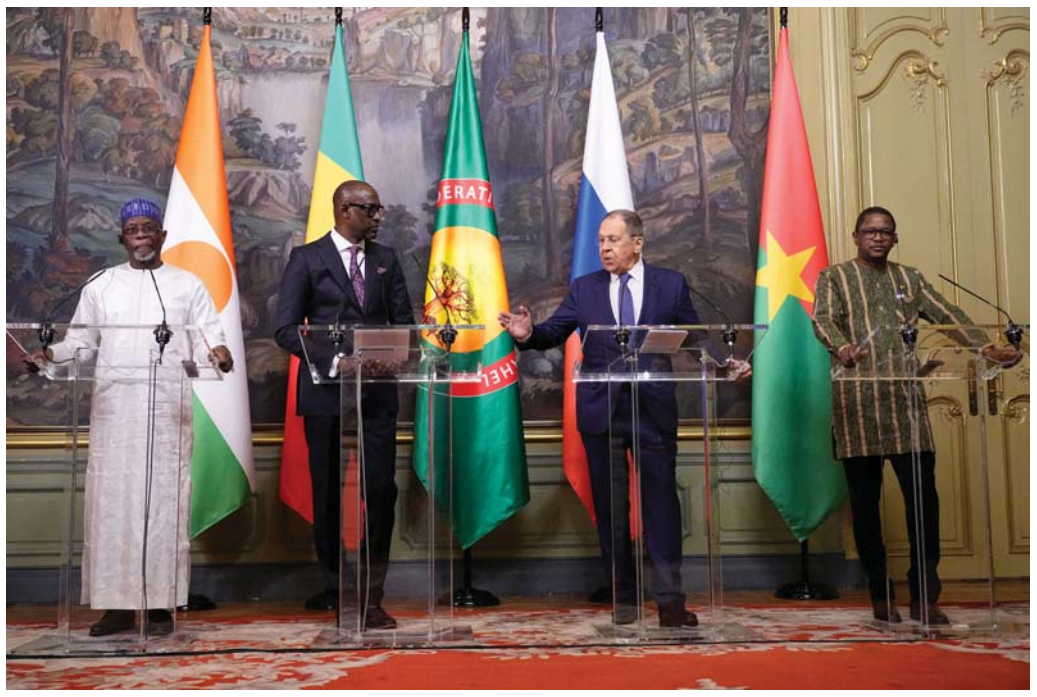

حضور دبلوماسي وعسكري روسي في منطقة الساحل

الجزائر - اصطدم الفيلق الأفريقي، وهو الذراع العسكرية الروسية في منطقة الساحل، بأولى ردود الفعل الميدانية، حيث تلقى ضربة عسكرية من مسلحي الفصيل الجهادي جبهة تحرير أزواد، ما يبرز حجم التحديات العملية التي تنتظر الفصيل المسلح، والصعوبات التي تعتري دوره الجديد في المنطقة، بعد الإعلان عن استخلافه مجموعة فاغنر، مباشرة بعد إعلان انسحابها من مالي.

وأفاد بيان لجبهة تحرير أزواد، وقعه الناطق الرسمي محمد المولود رمضان، بأن "قوات الجيش المالي مدعومة بقوات الفيلق الروسي، قد تكبدت هزيمة جديدة في شمال البلاد، بعد الهجوم الذي نفذته قوات جبهة تحرير أزواد على رتل لتحالف الجيش المالي وقوات الفيلق الأفريقي، على المحور الرابط بين أغلهوك وأنفيف."

وأضاف "الرتل القادم من غاو نحو أغلهوك، كان يتشكل من 30 مركبة عسكرية، تتمثل في مدرعات، شاحنات نقل، شاحنات صهريج، مركبات من نوع (كيا)، آليات تجريف، ورغم التغطية الجوية فقد تم استهدافها طيلة ساعات الصباح (الجمعة)."

ولفت البيان إلى أن الهجوم أسفر عن مقتل وجرح عشرات الجنود من أفراد التحالف (الجيش المالي وقوات الفيلق الأفريقي)، وأن 15 جثة من هؤلاء بقيت في عين المكان، فضلا عن تدمير وتعطيل عدد من المركبات والآليات، كالدبابات والمدرعات وناقلات الجند.

وتأتي هذه المواجهة المفاجئة بعد مرور أيام قليلة على الإعلان عن قوات الفيلق الأفريقي الذي شكلته روسيا لاستخلاف مجموعة فاغنر من أجل دعم وتثبيت دعائم التحالف الإستراتيجي الذي تؤسس له في المنطقة، انطلاقا من شرق ليبيا إلى غاية بوركينا فاسو، الأمر الذي يبكر بطرح الاستفهامات حول جدوى وقدرة الفصيل المذكور على مساعدة جيوش الحكومات المحلية في القضاء على التنظيمات المسلحة المعارضة.

ويبدو أن سيناريو الهزيمة، التي منيت بها مجموعة فاغنر العام الماضي في منطقة تينزواتين على الحدود الجزائرية، يتكرر مع الفيلق الأفريقي، الذي يكون قد تلقى أولى الصدمات الميدانية مباشرة بعد تلقيه المهام الجديدة له، وهو ما يفتح المجال أمام منعطف مستجد في مسار الأذرع العسكرية الروسية في تجربتها الجديدة بأفريقيا، ويضعها على محك حقيقي لاختبار قدرات روسيا العسكرية داخل جغرافيا سياسية تختلف كثيرا عن تجاربها السابقة خارج أفريقيا.

وعوضا عن إرسال مرتزقة أو دعم أنظمة حليفة عبر شبكات غير رسمية، أنشأت موسكو ما يُعرف بـ"الفيلق الأفريقي"، وهو وحدة عسكرية خاضعة لسيطرة وزارة الدفاع ومرتبطة بالاستخبارات العسكرية الروسية، وتحديدا الوحدة 29155 ذات السجل الطويل في العمليات السرية بأوروبا.

وتشير التقارير إلى أن روسيا زوّدت هذا الفيلق أيضا بقدرات جوية، بعدما رُصدت طائرة هجومية من طراز "سو – 24" في قاعدة باماكو الجوية.

ولتعزيز هذا الوجود شرعت موسكو في تجنيد مقاتلين من الداخل الروسي بعقود رسمية، تشمل رواتب تصل إلى 2.1 مليون روبل (نحو 26.500 دولار)، مع منح أراض ومكافآت.

وتلفت الباحثة كاثرين ستاسيفيتش إلى أن "الفيلق الأفريقي ليس مجرد بديل عن فاغنر، بل تطوير للنموذج. إنه يعكس رغبة الكرملين في تقنين وجوده وإخضاعه لهرم القيادة الرسمية. وبهذا يتحوّل الدور الروسي من مجرد داعم في نزاعات أفريقية إلى فاعل رئيسي يعيد هندسة النفوذ والسيادة."

> **سيناريو الهزيمة، التي منيت بها مجموعة فاغنر العام الماضي في منطقة تينزواتين على الحدود الجزائرية، يتكرر مع الفيلق**

وتعيش مالي خلال الأيام الأخيرة على وقع تطورات متسارعة زادت من هشاشة الوضع في البلاد، خاصة بعد تسجيل تصاعد في أعمال تنظيم نصرة الإسلام والمسلمين المقرب من القاعدة، حيث تقدمت المواجهات إلى تخوم العاصمة باماكو، كما دخل أعيان قبائل من المحايدين والموالين للحكومة المركزية في مفاوضات مع قادة التنظيم لتسليم سلاحهم مقابل ضمان أمن قبائلهم وعدم التعرض لمصالحهم.

وفي هذا الشأن نشرت جماعة نصرة الإسلام والمسلمين، في غضون هذا الأسبوع، مقاطع فيديو دعائية تظهر 22 جنديا ماليا أسيرا، وهم يكشفون هوياتهم الكاملة بالصوت والصورة: الاسم، اللقب، والرقم العسكري.

المقاطع، التي تداولتها المنصات الجهادية على شبكات التواصل الاجتماعي، جاءت ردا على ما أسمته بـ"مزاعم السلطة المالية عن محدودية الهجوم الذي استهدف وحداتها في منطقة بوليكسي."

ويبدو أن التنظيم الذي يتماهى في غايته مع نشاط المجموعات المسلحة الانفصالية الأزوادية، قد انتقل من البيانات المكتوبة إلى الصوت والصورة والاعترافات الصوتية، من أجل التأثير على الرأي العام، وتهيئته لأي سيناريو يكرر تجربة عام 2012، حتى لو تحالفت الحكومة المركزية مع روسيا وقوى إقليمية أخرى، ووضعت فصيلا مسلحا في خدمة الجيش الحكومي.

وكانت تقارير محلية قد تحدثت خلال الأسابيع الأخيرة عن ارتباك داخل وحدات الجيش المالي، نتيجة غياب الانسجام والتكامل مع أفراد مجموعة فاغنر، مقابل دخول طرف مهم على خط المواجهة، وهو دولة أوكرانيا التي تكون قد زودت العناصر الأزوادية بمستشارين ميدانيين وطائرات مسيرة، ساعدت كثيرا في تحقيق توازن وحتى نتائج عملية على حساب تحالف مالي وفاغنر.

ورغم تضارب المعلومات في هذا الشأن، يؤكد دخول طائرات مسيرة في سلاح جبهة تحرير الأزواد في العديد من الهجمات فرضية دخول كييف على الخط، كانتقام منها على الحرب التي يشنها الروس على أراضيهم منذ ثلاث سنوات.

وذكر متابعون لشؤون المنطقة أن لجوء روسيا إلى سحب مجموعة فاغنر، واستخلافها بالفيلق الأفريقي، الأكثر عدة وعددا وتنظيما والواقع تحت الوصاية المباشرة لوزارة الدفاع، بقدر ما انطوى على دلالات سياسية وإستراتيجية، فإن الغرض منه هو التحكم أكثر في الأوضاع الأمنية والعسكرية بالمنطقة، تحسبا للمضي في إرساء قواعد التحالف الإستراتيجي، غير أن الخسائر المفاجئة تفتح المجال للتساؤل عن جدوى وقدرة الفصيل الروسي على مواجهة التحديات الجديدة.

وبالموازاة مع ذلك، فإن تصاعد نشاط تنظيم نصرة الإسلام والمسلمين، الطامح إلى توسيع نفوذه في عموم منطقة الساحل، قد يدرج المصالح الروسية كأهداف مشاعة لنشاطه، الأمر الذي يضع موسكو أمام تحد مفاجئ، فبعدما ظلت بعيدة طيلة العقود الأخيرة عن استهداف التنظيمات الجهادية، ستجد نفسها مجبرة على مواجهتها على مساحات واسعة، من آسيا إلى أفريقيا.

وعلى صعيد آخر نظم أمس السبت ناشطون ومناضلون أزواديون وقفة احتجاجية أمام محكمة العدل الدولية بلاهاي، للتعبير عن إدانتهم لما أسموه بـ"الجرائم والانتهاكات التي ينفذها الجيش المالي والفصائل العسكرية الروسية في حق المدنيين الأزواديين،" الأمر الذي يعتبر منعطفا جديدا في الصراع بين الطرفين، يضع روسيا أمام حرج سياسي وحقوقي حيال الرأي العام الدولي.

ومنذ عام 2012 تواجه مالي أعمال عنف تنفذها جماعات جهادية مرتبطة بالقاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية، ومجموعات أخرى. وتأسست جبهة تحرير أزواد في العام الماضي وهي تحالف يضم عدة حركات مسلحة أغلبها من الطوارق.

المحفوظ بن بيه يدعو إلى استلهام قيم الإمارات لبناء السلام العالمي

أبوظبي - شارك الشيخ المحفوظ بن بيه، الأمين العام لمنتدى أبوظبي للسلم، في "قمة صياغة العالم 2025"، التي انعقدت بجامعة أوربانيانا البابوية في حاضرة الفاتيكان بروما يومي 12 و13 يونيو الجاري.

وتهدف هذه القمة، التي شارك فيها عدد كبير من صنّاع القرار ورجال الأعمال والشخصيات الأكاديمية، إلى صياغة رؤية مشتركة لبناء عالم أفضل وأكثر انسجاما.

وفي كلمة له بعنوان "تحديات السّلام في عالم عدائيّ" أكّد الشيخ المحفوظ بن بيه أنّ رحلة بناء السلام جهد مستدام وغايةٌ لا تَنْتَهي من المهد إلى اللحد، فعندما تَسُود العافية ويعمُّ الأمن، نتحدث عن السلام لصيانته واستدامته، وعندما تحتدم الحروب والفتنٌ تكون الدعوة إلى السلم ضرورةً حيويةً وواجبا محتما لإنقاذ الإنسان وحماية الأوطان، وأن السلم ليس مجرد وضع من الأوضاع الإنسانية العابرة وإنما هو منظومة من القيم الإنسانية التي تثمر السكينة والطمأنينة التي تحل في القلوب وتسكن في العقول.

وقد بيّن بن بيه أن هذه المنظومة القيمية التي تنبثق منها روح السلام، تتجسد في الإمارات أصالةً ورؤيةً، فقيم السلم من الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل والتضامن والتسامح والضيافة العربية هي المنبع الأصيل المستمدّ من القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وهي الأفق الحضاري الذي ارتسمَه أبناؤه من بعده بقيادة رئيس الدولة الشيخ محمد بن زايد آل نهيان.

وفي إطار تقديمه لجهود المنتدى المجسّدة لرؤية دولة الإمارات، استعرض الأمين العام عددا من المبادرات الرائدة التي أطلقها المنتدى في مجال تأسيس رواية السلام، والتي حظيت بقبول وتفاعل دوليين، وأصبحت تمثل معالم على مسيرة بناء إنسانية الغد، حول قيم السلم.

وفي هذا السياق ذكر الشيخ المحفوظ عددا من الوثائق مثل إعلان مراكش لحقوق الأقليات الدينية في العالم الإسلامي، وميثاق حلف الفضول الجديد، وإعلان أبوظبي للمواطنة الشاملة، بالإضافة إلى العديد من الجهود الفكرية والعلمية التي تهدف إلى تقديم خطاب كوني جديد ينشد صوت الحكمة، ويشيد صَرح العدالة على بساط السلام والعافية.

وقد كشف الأمين العام لمنتدى أبوظبي للسلم أن أحد أهم نجاحات المنتدى في عقده الماضي تمثل في تحييد الدين من معادلة العنف وإخراجه من دوائر الاتهام؛ ليصبح طاقة في التعمير وليس طاقة للتدمير وليغدو جزءًا من الحل، بعد أن جعله المتطرفون في فترة ما جزءا أساسيا من مشهد المشكلة.

وفي إطار بناء السلام العالمي أوضح الشيخ المحفوظ أن بناء السلام العالمي جهد إنساني مشترك، يتطلب قلبا للمعادلة لتصرف طاقات البشرية وثرواتها في قنوات الاستقرار والازدهار والابتكار، وهو ما تضطلع به الدبلوماسية الإماراتية في كل ربوع العالم، مجسدة نموذجا فريدا من دبلوماسية الحياة والسلام والأخوة الإنسانية.

وفي السياق نفسه ذكر الأمين العام لمنتدى أبوظبي للسلم بمركزية منظومة المدخل القيمي والإنساني المشترك، معتبرا أنه لا يمكن تصوّر الخروج بالإنسانية من وهدة الحروب إلى ربوة الأخوة الإنسانية إلا من خلال رؤية للعلاقات الإنسانية تقوم على قيم الخير والمحبة والعدل، وتعزيز قيم الحوار والحلول التوافقية، ومعالجة الأسباب الجذرية للصراع من قبيل الظلم وتفشي الفقر والتمييز، وإعادة الفاعلية للمؤسسات التي أفرزتها التجربة الإنسانية لتدبير الوجود المشترك في هذا الكوكب.

وركز بن بيه على قيمة الأمل المشترك بين الإنسانية، الأمل المبني على توطيد مشاعر الثقة، سواء داخل العلاقات الفردية والعلاقات الدولية أو على المستوى الأعلى بين الحضارات الإنسانية، مؤكدا أن اليأس الذي استشرى في مفاصل المزاج العام ووسائل التواصل هو سر التطرف والكراهية والعنف. وقال للمؤتمرين في ختام كلمته "تعالوا نغير العالم من أجل السلام، ولا نقنط من رحمة الله."

يذكر أن الأمين العام شارك يوم 11 يونيو على هامش قمة تغيير العالم وفي إطار زيارته إلى إيطاليا في أعمال طاولة مستديرة حول تعزيز الحريات الدينية في العالم بعنوان "تغيير الحوار حول الحرية الدينية: نهج متكامل للتنمية البشرية"، بتنظيم من المجلس الأطلسي.

فتح معبر القائم مؤشر على تطبيع العلاقة بين العراق والشرع

الأنبار (العراق) - قال متحدث باسم هيئة المنافذ الحدودية العراقية السبت إن العراق أعاد رسميا فتح معبر القائم الحدودي مع سوريا أمام حركة التجارة والمسافرين، في خطوة مهمة ضمن الجهود الرامية إلى تطبيع العلاقات وإحياء الروابط الاقتصادية بين البلدين وتجاوز المخاوف العراقية التي رافقت إسقاط الرئيس السابق باشر الأسد وإعلان أحمد الشرع رئيسا لسوريا.

وقال المتحدث لرويترز "معبر القائم يعمل الآن بشكل كامل لحركة الشاحنات التجارية وتنقل المدنيين،" مضيفا أن إعادة فتحه جاءت بعد تقييمات أمنية مشتركة أجراها مسؤولون عراقيون وسوريون.

تأتي الخطوة بعد مرور ثلاثة أشهر على زيارة وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني إلى بغداد وحثه العراق على استئناف التجارة عبر الحدود.

وكان المعبر أُغلق في أعقاب الحملة التي شنها مقاتلو المعارضة وأدت إلى الإطاحة بالأسد العام الماضي.

وذكر بيان صادر عن هيئة المنافذ الحدودية العراقية أن أول شاحنة سورية دخلت المعبر السبت بعد تفتيشها، ما يمثل خطوة مهمة في تعزيز التعاون الاقتصادي بين العراق وسوريا. وأضاف البيان "تم استئناف حركة المسافرين من أجل تخفيف العبء عن المواطنين العراقيين في مغادرتهم وعودتهم إلى البلد."

ورغم أن إعادة فتح المعبر تبدو في ظاهرها خطوة إجرائية لإعادة تنشيط حركة العبور والتبادل التجاري، فإن خلفيتها السياسية لا يمكن تجاهلها.

ويُنظر إليها على أنها مؤشر على تحسن العلاقات بين بغداد والقيادة السورية الجديدة برئاسة أحمد الشرع، الذي يسعى إلى إعادة بناء العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع دول الجوار.

ويقول مسؤولون عراقيون إن الحكومتين تكثفان التنسيق في مجال أمن الحدود وتسهيل التجارة منذ تولي الشرع الرئاسة العام الماضي.

وقال تركي المحلاوي رئيس بلدية القائم، حيث يقع المعبر الحدودي، "هذا المعبر سيكون ممرا إستراتيجيا لتجارة السلع بين العراق وسوريا."

ويرى فراس شابو، خبير العلوم المالية والمصرفية، أن "إعادة فتح المعابر الحدودية بين العراق وسوريا تُعد خطوة طبيعية بعد استعادة السيطرة على المناطق الحدودية، وستُسهم في تعزيز التبادل التجاري بين البلدين ورفع مستوى الاقتصاد في المناطق الحدودية،" وهو ما يعيد الحياة إلى محافظات مثل الأنبار ودير الزور، التي عانت من تهميش اقتصادي وأمني خلال السنوات الماضية.

ويعكس القرار انفتاحا براغماتيا من العراق، حيث ينأى بنفسه عن سياسات العزل، ويعطي إشارة إلى أن بغداد مستعدة للعب دور جسر التهدئة والانفتاح، دون أن تكون جزءًا من محاور الصراع.

> **إعادة فتح المعبر مؤشر على تحسن العلاقات بين بغداد والشرع، الذي يسعى إلى إعادة بناء العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية**

ويمثل فتح المعبر خطوة أمنية إستراتيجية بالغة الأهمية، لا تقل أهمية عن الأبعاد الاقتصادية والسياسية المصاحبة له. فالتعاون الأمني المشترك بين البلدين بات ضرورة ملحة، خاصة في ظل التحديات التي تواجهها الحدود المشتركة، والتي طالما كانت مسرحًا لتهديدات إرهابية وتهريب الأسلحة والمخدرات.

انتهت مرحلة العداء

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

تغيير النظام.. الهدف غير المعلن لهجمات إسرائيل على إيران

الضربات تستهدف المواقع النووية في إيران وهيبتها العسكرية

حكم المحافظين المتشددين في مرمى الاستهداف

هدف إسرائيل لم يكن فقط توجيه ضربات نوعية لإرباك النظام في إيران، خاصة بتصفية القيادات العسكرية التي تحميه وضرب العلماء الذين يديرون البرنامج النووي، ولكن أيضا التمهيد على المديَيْن القريب والمتوسط لإسقاط النظام نفسه بتحريك الشارع الإيراني ضده.

القدس/طهران - للهجوم الإسرائيلي المباغت على إيران هدف واضح وهو تعطيل برنامج طهران النووي بقدر هائل وإطالة الوقت الذي تحتاجه لصنع سلاح نووي. لكن حجم الضربات واختيار إسرائيل أهدافها وكلمات ساستها أنفسهم تشير إلى هدف آخر أطول أمدا وهو إسقاط النظام نفسه.

وقال خبراء إن الضربات لم تستهدف المنشآت النووية الإيرانية ومصانع الصواريخ فحسب، بل قصدت أيضا شخصيات مهمة في سلسلة القيادة العسكرية في البلاد وعلمائها النوويين، وهي ضربات يبدو أنها تهدف إلى إضعاف الثقة بإيران سواء في الداخل أو بين حلفائها في المنطقة -وهي عوامل يمكن أن تزعزع استقرار القيادة الإيرانية.

وقال مايكل سينغ من معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى والمسؤول الكبير السابق في عهد الرئيس جورج دبليو بوش "يفترض المرء أن أحد الأسباب التي تدفع إسرائيل إلى القيام بذلك هو أنها تأمل في رؤية تغيير النظام."

> القادة الذين قتلتهم إسرائيل في غاية الأهمية، ولديهم خبرة طويلة، وكانوا عنصرا مهما جدا في استقرار النظام وبقائه

وتابع قائلا "إنها ترغب في أن ترى الشعب الإيراني ينتفض،" مضيفا أن العدد المحدود للقتلى من المدنيين في الجولة الأولى من الضربات يشير أيضا إلى هدف أكبر.

وفي كلمة مصورة بعد فترة وجيزة من شروع المقاتلات الإسرائيلية في قصف المنشآت النووية وأنظمة الدفاع الجوي الإيرانية، وجه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو حديثه إلى الشعب الإيراني مباشرة.

وقال نتنياهو "النظام الإسلامي، الذي يقمعكم منذ ما يقرب من 50 عاما، يهدد بتدمير بلدنا، دولة إسرائيل."

وأضاف أن هدف إسرائيل هو إزالة التهديد الناجم عن الأنشطة النووية والصواريخ الباليستية، لكنه تابع قائلا "نحقق هدفنا وفي الوقت نفسه نمهد الطريق لكم أيضا من أجل تحقيق حريتكم."

وقال نتنياهو "النظام لا يعرف ما الذي أصابه، أو ما الذي سيصيبه. لم يكن يوما أضعف من الآن. هذه فرصتكم للوقوف وإسماع أصواتكم."

لكن رغم الضرر الذي ألحقه الهجوم الإسرائيلي غير المسبوق، فإن العداء لإسرائيل على مر العقود يثير تساؤلات حول إمكانية استنفار ما يكفي من الدعم الشعبي للإطاحة بقيادة دينية راسخة في طهران ومدعومة بقوات أمن تدين لها بالولاء.

ويتوقع خبراء أن تستمر إسرائيل في استهداف البنية التحتية النووية الإيرانية الرئيسية لتأخير مسيرة طهران نحو صنع قنبلة نووية، حتى لو لم تكن لدى إسرائيل بمفردها القدرة على القضاء على البرنامج النووي الإيراني.

واغتالت الضربات الإسرائيلية الأولى شخصيات كبيرة في المؤسستين العسكرية والعلمية، ودمرت جزءا كبيرا من نظام الدفاع الجوي الإيراني وأصابت محطة لتخصيب اليورانيوم فوق الأرض في موقع نووي.

وسمحت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب بالضربات الإسرائيلية وساعدت حليفتها المقربة على صد وابل الصواريخ الذي أطلقته إيران ردا على الهجوم، لكنها لم تعط أي مؤشر على أنها تسعى إلى تغيير النظام في طهران.

ولا يزال أمام إسرائيل الكثير لتفعله إذا أرادت تفكيك المنشآت النووية الإيرانية، وكثيرا ما يقول محللون عسكريون إنه ربما من المستحيل تعطيل المواقع المحصنة جيدا والمنتشرة في أنحاء إيران بصورة تامة.

وتحذر الحكومة الإسرائيلية من أن البرنامج النووي الإيراني لا يمكن تدميره كليًا بحملة عسكرية.

وقال مستشار الأمن القومي الإسرائيلي تساحي هنغبي للقناة 13 الإسرائيلية "لا يمكن تدمير برنامج نووي بالوسائل العسكرية." وأضاف أنه بالرغم من ذلك يمكن للحملة العسكرية أن تهيئ الظروف للتوصل إلى اتفاق مع الولايات المتحدة من شأنه أن يحبط البرنامج النووي. ولا يزال المحللون متشككين في أن إسرائيل ستمتلك الذخائر اللازمة للقضاء على المشروع النووي الإيراني بمفردها.

وقالت سيما شاين، كبيرة المحللين السابقة في جهاز المخابرات (الموساد) والباحثة الآن في معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي، للصحافيين الجمعة "ربما لا تستطيع إسرائيل القضاء على المشروع النووي بالكامل بمفردها دون مشاركة الولايات المتحدة."

وأضافت "لذلك، إذا لم تكن الولايات المتحدة جزءا من الحرب، أفترض أن بعض أجزاء المشروع النووي الإيراني ستبقى."

وبينما تصب عرقلة برنامج طهران النووي في مصلحة إسرائيل، إلا أن الأمل في تقويض النظام يمكن أن يفسر سبب ملاحقة إسرائيل للعديد من كبار الشخصيات العسكرية الإيرانية، الأمر الذي ربما يوقع المؤسسة الأمنية الإيرانية في حالة من الارتباك والفوضى.

وقالت شاين "كان هؤلاء الأشخاص في غاية الأهمية، ولديهم معرفة كبيرة، وخبرة طويلة في وظائفهم، وكانوا عنصرا مهما جدا في استقرار النظام، وتحديدا استقراره الأمني."

وأضافت "في عالم مثالي، ستفضل إسرائيل أن ترى تغييرا في النظام، لا شك في ذلك."

لكن جوناثان بانيكوف، نائب مسؤول المخابرات الوطنية الأميركية السابق لشؤون الشرق الأوسط والذي يعمل الآن في مركز الأبحاث "أتلانتيك كاونسل"، قال "إن مثل هذا التغيير ربما ينطوي على مخاطر."

وإذا نجحت إسرائيل في إزاحة القيادة الإيرانية، فليس هناك ما يضمن أن القيادة الجديدة التي ستخلفها لن تكون أكثر تشددا في السعي إلى الصراع مع إسرائيل.

وقال بانيكوف "على مدى سنوات يصر كثيرون في إسرائيل على أن تغيير النظام في إيران سيفضي إلى يوم جديد وأفضل، وأنه لا يوجد ما هو أسوأ من النظام الديني الحالي... لكن التاريخ يقول لنا إن الأمر يمكن أن يكون أسوأ دائما."

وقال أربعة مسؤولين إقليميين إن إسرائيل قضت على القيادة النووية والعسكرية الإيرانية بضربة واحدة، ما ترك طهران أمام خيارات قليلة للرد بما في ذلك دخول حرب شاملة ليست مستعدة لها ومن غير المرجح أن تنتصر فيها.

وجاء رد إيران غير مؤثر رغم إطلاق عشرات الصواريخ لأن نفوذها في المنطقة تدهور بشدة على يد إسرائيل منذ هجمات حماس التي أشعلت فتيل حرب غزة.

لكن المحللين ذكروا أن زعماء إيران، الذين يشعرون بالإهانة ويزداد انشغالهم بالبقاء في السلطة، لا يمكنهم تحمّل الظهور بمظهر الضعفاء بالرضوخ للضغط العسكري الإسرائيلي، الأمر الذي يثير احتمال المزيد من التصعيد، بما في ذلك اللجوء إلى الخيار الخطير المتمثل في السعي إلى صنع قنبلة نووية بسرعة.

> نتنياهو يخاطب الإيرانيين: نحقق هدفنا بإزالة التهديد النووي وفي الوقت نفسه نمهد الطريق لكم أيضا من أجل تحقيق حريتكم

وقال مهند الحاج علي من مركز كارنيغي للشرق الأوسط في بيروت "لن يصمدوا إذا استسلموا. عليهم توجيه ضربة قوية لإسرائيل، لكن خياراتهم (العسكرية) محدودة. أعتقد أن خيارهم التالي هو الانسحاب من معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية."

ويرى خبراء أن الانسحاب من المعاهدة سيمثل تصعيدا خطيرا لأنه سيكون بمثابة إشارة إلى أن طهران تعمل على تسريع برنامجها لتخصيب اليورانيوم اللازم لصنع الأسلحة النووية. وتراجع نفوذ طهران الإقليمي نتيجة الضربات التي توجهها إسرائيل لجماعات متحالفة معها، من حماس في غزة وجماعة حزب الله في لبنان إلى الحوثيين في اليمن والفصائل المسلحة بالعراق، فضلا عن الإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد حليف إيران الوثيق.

ولم يؤكد زعماء إيران المشاركة في الجولة السادسة من المحادثات المتعثرة مع الولايات المتحدة بشأن برنامج طهران النووي، والمقرر عقدها اليوم الأحد في عُمان.

وقال سركيس نعوم الخبير في الشأن الإقليمي "لا يمكنهم الرد عبر أي جهة. الإسرائيليون يُفككون الإمبراطورية الإيرانية قطعة قطعة... والآن بدأوا بزرع الشك الداخلي (حول قوة النظام)... هذه ضربة موجعة."

وكان المرشد الأعلى الإيراني آية الله علي خامنئي قد أبدى تحديه قائلا إن إسرائيل "أطلقت يدها الخبيثة الدموية" وسوف تلقى "مصيرا مريرا".

وقال عبدالعزيز الصقر مدير مركز الخليج للأبحاث إن إيران أصبحت محاصرة في الزاوية وليس أمامها سوى خيارات محدودة.

ومن بين الاحتمالات تقديم ضمانات -في أحاديث خاصة- بأنها سوف تتخلى عن تخصيب اليورانيوم وتفكك قدراتها النووية، لأن أي إعلان عن مثل هذا الاستسلام من المرجح أن يثير ردود فعل حادة في الداخل.

وقال الصقر إن خيارا آخر قد يتضمن العودة إلى الحرب السرية، مثل التفجيرات التي استهدفت السفارتين الأميركية والإسرائيلية ومنشآت عسكرية في ثمانينات القرن العشرين.

والخيار الثالث، والأكثر خطورة، هو الانسحاب من معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية وتسريع برنامج تخصيب اليورانيوم.

وحذر الصقر من أن مثل هذه الخطوة ستكون بمثابة إعلان حرب، ومن المؤكد أنها ستثير رد فعل دوليا قويا ليس فقط من إسرائيل، بل وأيضا من الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى.

وهدد الرئيس الأميركي بعمل عسكري لضمان عدم حصول إيران على سلاح نووي. وأكد موقفه الخميس قائلا "على إيران أن تتخلى تماما عن آمالها في امتلاك سلاح نووي."

تقوم إيران حاليا بتخصيب اليورانيوم بنسبة نقاء تصل إلى 60 في المئة، وهي نسبة قريبة من نسبة 90 في المئة اللازمة لصنع أسلحة نووية. وتمتلك كمية من اليورانيوم المخصب عند هذا المستوى، الذي يمكن إذا خضع للمزيد من المعالجة أن يكفي لإنتاج تسع قنابل نووية، وفقا لمعيار الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة.

استهدفت الغارات الإسرائيلية الجمعة منشآت نووية إيرانية، ومصانع صواريخ باليستية، وقادة عسكريين وعلماء نوويين. وصرح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بأنها بداية عملية مطولة لمنع طهران من صنع سلاح نووي.

أوبك+ ستواجه صعوبة في تعويض النفط الإيراني

لندن - خلال يومين فقط هذا الأسبوع تحول المتعاملون في سوق النفط من التركيز على وفرة وشيكة للمعروض إلى الخوف من حدوث نقص.

وبعد أن هاجمت إسرائيل إيران وتوعدت طهران بالرد، قفزت أسعار النفط بنسبة تصل إلى 13 في المئة لتبلغ أعلى مستوياتها منذ يناير الماضي مع تزايد احتمال حدوث اضطراب كبير في إمدادات النفط في الشرق الأوسط.

وَوفقا لمحللين ومراقبين لأوبك، من بين أسبَاب هذا الارتفاع السريع أن الطاقة الإنتاجية الفائضة لدى أوبك وحلفائها، والتي تُمكنها من ضخ المزيد من النفط لتعويض أي اضطراب، تعادل تقريبا إنتاج إيران.

وقال محللون ومصادر في القطاع إن السعودية والإمارات هما العضوان الوحيدان القادران على زيادة الإنتاج سريعا ويمكنهما ضخ كمية إضافية تبلغ حوالي 3.5 مليون برميل يوميا.

ويبلغ إنتاج إيران حوالي 3.3 مليون برميل يوميا وتصدر أكثر من مليوني برميل يوميا من النفط والوقود. ولم يكن هناك أي تأثير على الإنتاج الإيراني حتى الآن جراء الهجمات الإسرائيلية ولا على الصادرات من المنطقة.

لكن المخاوف من أن إسرائيل قد تدمر منشآت نفط إيرانية لحرمانها من مصدر إيراداتها الرئيسي دفعت أسعار النفط إلى الارتفاع. وقفز خام برنت في أحدث التداولات سبعة في المئة تقريبا ليتجاوز 74 دولارا للبرميل الجمعة.

ومن شأن أي هجوم يؤثر بشكل كبير على الإنتاج الإيراني ويتطلب من المنتجين الآخرين ضخ المزيد من النفط لسد الفجوة أن يترك القليل من الطاقة الاحتياطية للتعامل مع أي اضطراب آخر -وهو ما يمكن أن يحدث بسبب حرب أو كوارث طبيعية أو حوادث. وذلك شريطة ألا تهاجم إيران جيرانها ردا على الضربات الإسرائيلية.

وهددت إيران في الماضي بتعطيل حركة الملاحة عبر مضيق هرمز إذا تعرضت لهجوم. ويمر عبر المضيق حوالي 20 في المئة من إمدادات النفط العالمية، بما في ذلك الصادرات السعودية والإماراتية والكويتية والعراقية والإيرانية.

وسبق أن توعدت إيران بمهاجمة منتجي النفط الآخرين الذين يسدون أي فجوة في الإمدادات تنتج عن العقوبات أو الهجمات على إيران.

وقال جورجي ليون رئيس قسم التحليل الجيوسياسي في ريستاد والمسؤول السابق في منظمة أوبك "إذا ردت إيران بتعطيل تدفقات النفط عبر مضيق هرمز أو استهداف البنية التحتية النفطية الإقليمية أو ضرب الأصول العسكرية الأميركية، فقد يكون رد فعل السوق أكثر حدة، ما قد يدفع الأسعار إلى الارتفاع 20 دولارا للبرميل أو أكثر."

ويأتي التغيير المفاجئ في حسابات المستثمرين في قطاع النفط هذا الأسبوع بعد شهور شهدت زيادة إنتاج أوبك وحلفائها، في ما يعرف بمجموعة أوبك+، وأججت قلق المستثمرين حيال فائض المعروض في المستقبل واحتمال انهيار الأسعار.

والسعودية، القائد الفعلي لمنظمة أوبك، هي القوة الدافعة وراء تسريع زيادة إنتاج المجموعة، ومن أسباب ذلك معاقبة الحلفاء الذين ضخوا كميات من النفط أكثر من حصصهم المقررة بموجب اتفاقيات أوبك+.

وأجهدت هذه الزيادات بالفعل قدرة بعض الأعضاء على إنتاج المزيد، ما تسبب في عدم تحقيق أهدافهم الجديدة.

وحتى بعد أحدث الزيادات، لا تزال المجموعة تطبق تخفيضات للإنتاج تبلغ حوالي 4.5 مليون برميل يوميا تم الاتفاق عليها على مدى السنوات الخمس الماضية لتحقيق التوازن بين العرض والطلب.

لكن بعض هذه الطاقة الإنتاجية الفائضة -أي الفرق بين الإنتاج الفعلي وإمكانات الإنتاج الافتراضية التي يمكن تشغيلها بشكل سريع ومستقر- موجود فقط على الورق.

وبحسب محللين ومراقبين لأوبك، قد لا تكون حقول النفط والمنشآت النفطية قادرة على استئناف الإنتاج بسرعة بعد سنوات شهدت خفض الإنتاج وتراجع الاستثمار في حقول النفط عقب جائحة كورونا.

كما قلصت العقوبات الغربية المفروضة على إيران وروسيا وفنزويلا الاستثمارات النفطية في تلك الدول.

وقال جيه.بي مورغان في مذكرة "بعد رفع الإنتاج في يوليو يبدو أن أغلب أعضاء أوبك، باستثناء السعودية، ينتجون بطاقتهم القصوى أو بما يقارب ذلك."

وقال مصدر كبير في القطاع يعمل مع منتجي أوبك+ إن الطاقة الإنتاجية الفائضة ضئيلة خارج السعودية والإمارات.

> السعودية والإمارات العضوان الوحيدان القادران على زيادة الإنتاج سريعا ويمكنهما ضخ حوالي 3.5 مليون برميل يوميا

وأضاف المصدر "السعودية هي الوحيدة التي لديها براميل حقيقية، أما البقية فطاقتهم الاحتياطية مجرد أرقام على الورق." وطلب المصدر عدم ذكر اسمه نظرا لحساسية الأمر.

ومن المقرر أن يرتفع إنتاج النفط السعودي إلى ما يزيد على 9.5 مليون برميل يوميا في يوليو، ما يجعل المملكة قادرة على إنتاج كمية إضافية تبلغ 2.5 مليون برميل يوميا إذا قررت ذلك.

ومع ذلك، لم تُختبر هذه القدرات سوى مرة واحدة فقط في العقد الماضي ولمدة شهر واحد فحسب في عام 2020 عندما اختلف السعوديون والروس وضخوا النفط كيفما يشاءون في صراع على حصص السوق.

كما توقفت المملكة عن الاستثمار في توسيع طاقتها الاحتياطية بما يتجاوز 12 مليون برميل يوميا مع تحويل مواردها إلى مشروعات أخرى.

وتقول روسيا، ثاني أكبر منتج داخل أوبك+، إن بإمكانها ضخ كمية تتجاوز 12 مليون برميل يوميا.

ومع ذلك، تشير تقديرات جيه.بي مورغان إلى أن موسكو لا تستطيع زيادة إنتاجها إلا بنحو 250 ألف برميل يوميا إلى 9.5 مليون برميل يوميا خلال الأشهر الثلاثة المقبلة، وستواجه صعوبات لزيادة الإنتاج أكثر من ذلك بسبب العقوبات.

وتقول الإمارات إن طاقتها الإنتاجية القصوى من النفط تبلغ 4.85 مليون برميل يوميا، وأبلغت منظمة أوبك بأن إنتاجها من الخام وحده في أبريل زاد قليلا عن 2.9 مليون برميل يوميا، وهو رقم تؤكده إلى حد كبير المصادر الثانوية في أوبك.

إلا أن وكالة الطاقة الدولية قدرت إنتاج الإمارات بحوالي 3.3 مليون برميل يوميا في أبريل، وتقول إن الإمارات لديها القدرة على زيادة الإنتاج بمليون برميل يوميا. ويقدر بنك بي.إن.بي باريبا أن إنتاج الإمارات أعلى من ذلك حيث يتراوح بين 3.5 مليون وأربعة ملايين برميل يوميا.

التحدي القادم

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

الحاجة إلى مشروع مصري إقليمي

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

تشير التطورات الإقليمية الراهنة إلى حالة من الغموض تعيشها منطقة الشرق الأوسط، وإلى رغبة إسرائيلية عارمة في إعادة هندسة المنطقة بما يتناسب مع مصالحها وطموحاتها الإستراتيجية وتبنّي مشروع كبير يحقق أهدافها خلال الفترة المقبلة، وأيضا إلى إخفاقات متلاحقة تلازم المشروع الإيراني، الذي ظهرت ملامحه عقب اندلاع الثورة الإسلامية في طهران قبل نحو نصف قرن.

وأدت البراغماتية التركية ونجاح قيادتها في التكيف مع المستجدات الإقليمية والدولية إلى احتفاظها بمستوى عال من الجاهزية، وساعدتها مرونتها وإدخال تعديلات على رؤيتها الإسلاموية في أن تصبح لاعبا وعنصرا حاضرا ومؤثرا في المنطقة، وتملك أجندة أو مشروعا مفتوحا على معالم متباينة.

الملاحظ أن القوى الثلاث (إسرائيل وإيران وتركيا) جميعها غير عربية، وتريد التحكم في مقاليد منطقة تسكنها غالبية عربية، ربما تكون هذه الحالة قديمة، وتجذرت خلال العقود الخمسة الماضية، مع سقوط المشروعات القومية العربية، سواء تلك التي حملت شعلتها مصر الناصرية أو العراق وسوريا البعثيان.

كما أن المشروع الرمزي الشعاراتي المتمثل في جامعة الدول العربية أصبح محل نقاش من زاويتي: الإصلاح وإعادة الهيكلة وتدوير منصب الأمين العام وتغيير دولة المقر، أو التفكير في بدائل إقليمية جديدة، ليس بالضرورة أن تكون عربية خالصة.

مع التحولات الجارية في المنطقة بحث كثيرون عن موقف مصر، ولماذا لا تنخرط في ما ظهر من بوادر مشروع إقليمي سوف تلعب فيه دول الخليج دورا محوريا، وفقا لتوازنات القوى الاقتصادية المؤثرة، وترتيبات يتم التفكير فيها بما يغير شكل الشرق الأوسط، ولا يصبح قوام المشروع المطروح منطلقا من أساس قومي وديني ومذهبي، أو تتقدم القاهرة وتملك مشروعا إقليميا واضحا، تتوافر فيه معطيات تتواءم مع الواقع العالمي، ولا تعيد إنتاج المشروع الذي تبناه الرئيس الراحل جمال عبدالناصر وفشل، وما خلقه من عداوات مع جهات عربية ودولية عديدة، أو تتبنى مشروعا شبيها بما سعى إليه الرئيس الراحل أنور السادات، واعتمد على الانكفاء على الذات.

مهما كانت درجة الضعف التي تعاني منها مصر، فطبيعتها التاريخية وكتلتها الصلبة، البشرية والعسكرية، ترفضان التسليم بما يُملى عليها

لم تظهر مصر معالم اشتباك إيجابي مع ما تردد حول وجود مشروع عابر للقوميات والديانات، تكون فيه بعض دول الخليج العربي وإسرائيل طرفين حاسمين، وبدت تصرفاتها بعيدة عنه أو ممانعة له، وإن حرصت القاهرة على الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع دول الخليج، ولم تسع إلى صدام واسع مع تل أبيب، وضبطت التوجهات مع الإدارة الأميركية الراعية لهذا المشروع، وتجنبت الصدام معها مباشرة.

أكدت تطورات كثيرة أن تأثير مصر تراجع في المنطقة، بحكم تغيرات متعددة، ويمكن أن يتراجع بشكل أكبر، إذا فضلت قيادتها عدم الانخراط في المشروع الظاهر الوحيد في المنطقة حتى الآن، وتؤيده واشنطن، وإذا كان الأمر كذلك، لماذا تغيب القاهرة، ولا تظهر ملامح اشتباك إيجابي معه، وربما على العكس، توجد مؤشرات رافضة أو متحفظة عليه، سببت لها حرجا مع حلفاء وأصدقاء قد يصبحون جزءا أساسيا فيه.

التفسير عندي يحمل شقين. الأول: أن المشروع الذي ترعاه الولايات المتحدة سوف يعيد فك وتركيب السبيكة الجيوسياسية الحالية في المنطقة، ويطوي صفحات سابقة بلا حلول ناجعة، وفي مقدمتها صفحة القضية الفلسطينية، التي تتمسك دول خليجية بضرورة إيجاد حل مناسب لها، لكن التطورات جارفة، وقد تفرض طقوسا معينة تؤدي إلى تجاوزها قسرا، وهو ما تعتقد القاهرة أنه لا يوفر أمنا في المنطقة أو استقرارا للمشروع نفسه، ناهيك عن أن مصر لن يكون لها دور مؤثر، فالتوازنات الجديدة تقوم على الاقتصاد، وهي فقيرة وتحتاج إلى مساعدات سخية، ما يعني أنها سوف تصبح تابعة لمجموعة أخرى قائدة.

والشق الثاني: مهما كانت درجة الضعف التي تعاني منها مصر، فطبيعتها التاريخية وكتلتها الصلبة، البشرية والعسكرية والجغرافية، ترفضان التسليم بما يُملى عليها من أي جهة، وإن قبلت ذلك أحيانا فلأسباب تكتيكية، سرعان ما تتحلل منها في أول محطة تتوافر فيها ظروف تساعدها على الرفض والتمرد، ما يجعلها تفضل النأي والاحتفاظ بمسافة شاسعة تفصلها عن الآخرين، وتخول لها التفكير بعمق في ما يمكن أن تقوم به.

وهذه حالة لا يجب أن تستغرق وقتا طويلا، لأنه سيتم تفسيرها بالعجز أو العزلة، وفي الحالتين تأبى الطبيعة المصرية أن توصف بأي من الصفتين، لأن فيهما موتها، وهو ما لم يحدث على مدار تاريخها القديم والمعاصر، فقد تمرض، لكنها لا تموت.

تقود هذه الاستنتاجات إلى فرضية لها ما يسندها من المعلومات من بعض المصادر المصرية، وهي أن القاهرة تنتظر استقرار الأوضاع في المنطقة، وهذا يستغرق بضع سنوات، وأي مشروع يمكن طرحه في خضم تطورات عاصفة لن يكون مجديا أو يستمع إليه أحد مهما كانت مكوناته، ولن يتم الإنصات له أو التفاعل معه بجدية، وربما يتم حرقه سياسيا قبل خروجه إلى النور، وهو ما تخشاه القاهرة، فوسط انتشار الصراعات والنزاعات تتوه مشروعات مهما علت قيمتها وامتلكت ما يعزز منطقيتها.

ومن الواضح أن مصر لجأت إلى الحذر والتريث اللذين فسرا أحيانا على أنهما يعكسان حيرة وارتباكا وعدم وجود ما تقدمه للمنطقة، وهو استنتاج صحيح إلى حد ما، لأن الدولة التي تواجه حدودا ملتهبة شرقا وغربا وجنوبا، وتتعرض لتهديدات إستراتيجية من جهة البحر الأحمر، ووجودية من جهة منابع نهر النيل، يصعب أن تفكر في طرح مشروع إقليمي أو تقديم فكرة تحظى باهتمام لافت.

تعمل مصر على التخلص من الأعباء الثقيلة الملقاة عل عاتقها خارجيا، وكان جل تركيز قيادتها خلال السنوات الماضية تثبيت مفاصل الأوضاع الداخلية، وتوفير أعلى درجة من الأمن والاستقرار للمجتمع، والحد من تضخم الأزمة الاقتصادية، علاوة على تحديث البنية الأساسية للمؤسسة العسكرية. وتعرض الرئيس عبدالفتاح السيسي لانتقادات كبيرة بسبب هذا التحديث، وهناك من اعتبر الإغداق على الجيش نوعا من الرفاهية المنبوذة، وعندما لاحت في الأفق معالم انفجار في المنطقة، راجع كثيرون انتقاداتهم، وبعد تحول الانفجار إلى واقع مرير على أكثر من مستوى، فهم هؤلاء الجدوى الحقيقية من وراء تسليح الجيش المصري.

هل هذا يعني أن مصر لن تملك مشروعا إقليميا؟

رغم ضخامة السؤال، وما قدم من تفسيرات سلبية سابقا، إلا أن الإجابة لا بد أن تملك القاهرة مشروعا، فعدم وجوده معناه حدوث تآكل كبير في الجسد المصري، وفي كل الأوقات التي انكفأت فيها الدولة على ذاتها لم تكن في أفضل حال، وتسابقت قوى خارجية على المزيد من النيل منها، وخسرت الكثير من مقوماتها الحيوية والكامنة في عبقرية مكانها، من هنا لن تستطيع أن تكون بعيدة وقتا طويلا عن تفاعلات تجري على مرمى حجر منها، وإن حسبها البعض تراجعت أو عزلت أو تقوقعت حول ذاتها فقط، فمصر من الدول التي يبدأ أمنها القومي من الخارج.

فجوة في العلاقات بين القاهرة وواشنطن

فشل استخباراتي إيراني واختراق إسرائيلي عميق

البرّاق شادي عبدالسلام
كاتب وباحث مغربي

عرفت منطقة الشرق الأوسط ليلة عصيبة بالغة التعقيد، عكست هشاشة الوضع الأمني الإقليمي وأكدت المخاوف الجماعية من تصعيد عسكري وجيوسياسي قد يدخل المنطقة في صراع إقليمي قد يتحول إلى صراع دولي بالنظر إلى تداخل الديناميكيات المؤثرة في مفاعيل الأمن الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط.

الهجوم الإسرائيلي على الأراضي الإيرانية، والذي استهدف بنى تحتية عسكرية حساسة ومراكز قيادية عليا للحرس الثوري، إضافة إلى منشآت إستراتيجية ضمن البرنامج النووي الإيراني، بما في ذلك منشأة نطنز شديدة التحصين، لا يمثل مجرد عملية عسكرية عابرة، بل يؤشر على تحول نوعي في ديناميكية الصراع الإقليمي قد ينتهي بسقوط النظام الإيراني وتغيير عنيف للسلطة يدخل البلاد في حرب أهلية سيؤدي ثمنها الشعب الإيراني الشقيق المختطف من رجال الدين.

لقد أعلن التلفزيون الرسمي الإيراني أن رئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة، محمد باقري، قد قُتل في الضربات الإسرائيلية، وهو أعلى مسؤول في الهيكل العسكري الإيراني. كما أفادت وكالة تسنيم بمقتل ستة علماء نوويين بارزين، من بينهم فريدون عباسي، الذي نجا من محاولة اغتيال سابقة.

دقة الأهداف التي تم استهدافها، وتزامن الهجوم مع أحداث داخلية إيرانية سابقة، يدعمان فرضية الاختراق الاستخباراتي الإسرائيلي العميق والمتجذر داخل مفاصل الدولة العميقة الإيرانية، الأمنية والعسكرية على حد السواء. هذا الاختراق لا يبدو عرضيًا أو ظرفيًا، بل يكشف عن فشل استخباراتي إيراني بنيوي ومستمر، ويؤكد أن آليات الحماية والتحصين في إيران لم تعد كافية لصد عمليات الاختراق المعقدة والمنظمة.

الشواهد على هذا الاختراق متعددة ومتراكمة على مدى سنوات. أولها تصفية الجنرال قاسم سليماني وزعيم ميليشيات الحشد الشعبي أبومهدي المهندس في عملية أميركية دقيقة بمطار بغداد في يناير 2020، ثم اغتيال زعيم حركة حماس إسماعيل هنية في قلب طهران في يوليو 2024 ، وهي عملية لم تكن لتتم لولا معلومات استخباراتية دقيقة حول تحركاته ومواقعه.

يضاف إلى ذلك السقوط المريب لمروحية الرئيس الإيراني السابق إبراهيم رئيسي وعمليات استهدفت وكلاء إيران في المنطقة كعملية البيجر ضد حزب الله وتصفية كامل الهيكل العسكري لحزب الله وحركة حماس في عمليات نوعية، بالإضافة إلى تحييد حسن نصرالله الزعيم السابق لميليشيا حزب الله، والذي يعتبر أكبر فشل استخباراتي لأجهزة المخابرات الخارجية الإيرانية المكلفة بالحماية الشخصية لكبار القادة الإقليميين للمشروع الإيراني في المنطقة.

رغم أن التحقيقات والتصريحات الرسمية لن تكشف عن أسباب خارجية أدت إلى هذه الكارثة العسكرية إلا أن تزامن الحادث مع حالة التوتر الإقليمي يثير تساؤلات جدية حول مدى وجود عوامل تخريبية محتملة، أو على الأقل استغلال لثغرات أمنية وتشغيلية في قمة البنية العسكرية والأمنية والاستخباراتية الإيرانية.

الاختراق يكشف عن فشل استخباراتي بنيوي وأن آليات الحماية والتحصين في إيران لم تعد كافية لصد عمليات الاختراق المعقدة

أعلن الجيش الإسرائيلي مشاركة 200 طائرة وقصف نحو 100 هدف في الهجوم على إيران. وسقط خمسون جريحًا على الأقل، بمن في ذلك أطفال ونساء. وصرح المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي للإعلام العربي أفيخاي أدرعي بأن عملية "الأسد الصاعد" قد بدأت، وأنهم "ضربوا أهدافًا نووية في قلب الأراضي الإيرانية،" ما يؤكد بشكل واضح على التفوق الإسرائيلي في لعبة كسر العظم بين طهران وإسرائيل.

هذه الأحداث مجتمعة تؤكد أن القدرة الإسرائيلية على جمع المعلومات وتنفيذ عمليات نوعية داخل الأراضي الإيرانية قد وصلت إلى مستويات غير مسبوقة. هذا الواقع يضع القيادة الإيرانية أمام تحديات وجودية تتعلق بإعادة تقييم شاملة لجهازها الأمني والاستخباراتي، والتعامل مع حقيقة أن خصمها يمتلك معلومات تفصيلية عن بنيتها الدفاعية وقدراتها الإستراتيجية.

الوضع الراهن ينذر بفتح الباب أمام حرب إقليمية كبرى قد تعيد رسم الخارطة الجيوسياسية للشرق الأوسط بشكل جذري. فالهجوم على منشآت نووية، حتى لو كان محدودًا، يشكل تصعيدًا خطيرًا للغاية وتجاوزا لقواعد الاشتباك الإقليمية قد يدفع طهران نحو اتخاذ قرارات متطرفة تتعلق ببرنامجها النووي.

أمام هذا الاختراق والفشل من المتوقع أن تسعى إيران إلى توجيه ضربة مضادة لاستعادة ماء الوجه وردع المزيد من الهجمات. وقد تتخذ هذه الضربة أشكالًا مختلفة، من استهداف مصالح إسرائيلية أو غربية في المنطقة، إلى تفعيل أذرعها الإقليمية لشن هجمات على أهداف حساسة. وبالتالي فتحديد طبيعة وحجم الرد سيعتمد على تقييم طهران لقدراتها وتوقعاتها لردود الفعل الإسرائيلية والدولية، كما أن هذه التوترات المتصاعدة تهدد بتقويض ما تبقى من مفاعيل الاستقرار والأمن في المنطقة.

على ضوء ما سبق يواجه المجتمع الدولي، وخاصة القوى الكبرى، تحديًا بالغ الصعوبة في احتواء هذا التصعيد ومنع تحوله إلى نزاع مفتوح. الضغط الدبلوماسي اليوم هو المطلب الجوهري لكل شعوب المنطقة لكنه قد لا يكون كافيًا إذا قرر الطرفان المضي قدمًا في مسار التصعيد.

في سياق آخر اسم العملية "الأسد الصاعد" المستوحى من نص توراتي، وتحديدًا من "الإصحاح 23:24" بالعهد القديم: "هوذا شعب يقوم كأسد عظيم، ويرتفع كشبل أسد. لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى،" يضفي على هذه العملية بعدًا أيديولوجيًا وعقائديًا عميقًا من منظور إسرائيلي. هذا الاختيار لا يعكس فقط طموحات إسرائيل لتحقيق نصر حاسم وهيمنة إقليمية، بل يؤكد أيضًا على العمق اللاهوتي الذي تستمد منه بعض قراراتها الإستراتيجية في مواجهة الدولة الدينية في إيران وبالتالي توظيف مثل هذه الرموز التوراتية في سياق عسكري هو رسالة واضحة لكل من يعنيه الأمر بأن هذه المواجهة تتجاوز مجرد الصراع على النفوذ إلى ما هو أبعد.

وبالرغم من أن هذه العملية تمثل ضربة موجعة للعمق الأمني الإيراني، وتُظهر هشاشة بنيتها الاستخباراتية والأمنية، إلا أنه لا يمكن إغفال الديناميكيات الداخلية المعقدة التي ستستفيد من هذا التطور.

ففي ظل التوتر الإقليمي المتصاعد، والفشل الاستخباراتي المتمثل في اغتيال قيادات عسكرية رفيعة وعلماء نوويين، يبرز اسم مجتبى خامنئي كأحد المستفيدين الرئيسيين من هذه الأحداث، فتحييد مختلف قيادات الجيش الكبرى التي كانت تُعارض طموحاته في التربع على عرش إيران الإمبراطوري، يفتح له الباب واسعًا لتعزيز نفوذه وتعبيد الطريق نحو خلافة والده لكن بمواقف أكثر اعتدالا تجاه إسرائيل قد تنتهي بإعادة صياغة السياسة الإيرانية في الشرق الأوسط على أسس جديدة.

هذا التطور الداخلي، وإن بدا ثانويًا في خضم الصراع الإقليمي المحتدم، فإنه يحمل تداعيات إستراتيجية بعيدة المدى على مستقبل النظام الإيراني وتوجهاته، اليوم نحن أمام مشهد إقليمي تتداخل فيه الحسابات الجيوسياسية المعقدة مع الطموحات الشخصية الداخلية، ما يجعل المشهد أكثر ضبابية وأشد خطورة. فهل نشهد بالفعل بزوغ عصر جديد من الفوضى الإقليمية، أم أن هذه الأحداث ستكون الشرارة التي تدفع الأطراف الفاعلة إلى إعادة تقييم شاملة لإستراتيجياتها والتوصل إلى اتفاق إقليمي شامل قد ينهي عقودا من الصراع؟

أضرار بلا حصر

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

بين النوستالجيا والواقع: إرث القادة العرب في ظل التعقيد والتباين

ما شهدناه من استبداد لم يكن مجرد انحراف عارض، بل مسار سياسي وثقافي متجذر

إيمان الزيات
كاتبة تونسية

قراءة مذكّرات من عايشوا حقبة حسني مبارك، زين العابدين بن علي، صدام حسين أو معمر القذافي، تأخذنا إلى عوالم خاصة وغريبة في آن معا – عوالم تتشكّل فيها السلطة كما تتشكّل الروابط العائلية، وتُدار كإرث شخصي لا كأمانة عامة. في تلك الأنظمة، كانت الدولة تتقاطع مع العائلة، وتذوب فيها، في مشهد أشبه بإمبراطوريات مصغّرة تُبنى على الولاء والمحسوبيات لا على المؤسسات والقانون. حتى مشاريع التنمية التي كانت تُبث على الشاشات الرسمية – مستشفى هنا، طريق هناك – غالبا ما كانت أدوات دعائية تُستخدم لترسيخ صورة الحاكم أو لتهدئة جمهور غاضب، لا تعبيرا عن رؤية وطنية شاملة.

ومع مرور الوقت، تتدخل الذاكرة، بما تحمله من حنين وانتقائية، لإعادة رسم تلك الحقبة بألوان أكثر دفئا مما تستحق. فها هم أولئك الزعماء يعودون اليوم إلى المشهد، لا فقط كأسماء في المناهج الدراسية، بل كوجوه متجددة في محتوى متنوع: وثائقيات تدّعي الحياد، مسلسلات درامية تغلّف الواقع بخيال جذاب، مذكرات تختلط فيها العبرة بالتبرير، ومنصات رقمية تحوّل مقاطع من الماضي إلى سرديات مكتملة خلال دقائق. كل طرف يروّج لروايته، من كاشف للأخطاء إلى مبيّض للصور، غير أن هذه الروايات نادرا ما تحمل العبء الكامل لتلك العهود، أو تسبر أغوار تعقيدها.

في النهاية، تبقى الحكايات التي نرويها عن تلك الأزمنة انعكاسا لانشغالاتنا الحاضرة بقدر ما هي شهادات على الماضي. فالنوستالجيا لا تعيدنا إلى ما كان، بل تعيد تشكيله بما نحتاج أن نراه أو نصدّقه اليوم.

صناعة النوستالجيا

منذ انطلاقة الانتفاضات العربية، تشكّل نظام ثقافي غير معلن لإعادة تدوير تراث الحكّام السابقين، في ما يمكن تسميته بـ"صناعة النوستالجيا التي حوّلت الماضي إلى سلعة سهلة الهضم، تمنح الجمهور جرعات من التنفيس العاطفي أو الألفة المصطنعة عن طريق الدراما التلفزيونية والمحتوى الرقمي على وسائل التواصل الاجتماعي.

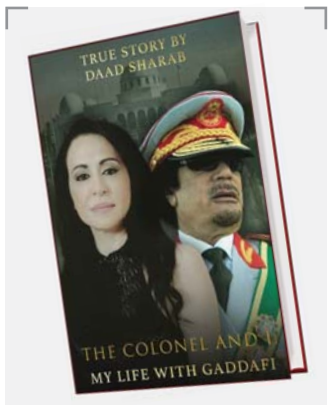

أهمية هذه المذكرات لا تقتصر على كونها شهادات شخصية، بل تتعداها إلى كونها محاولات لصياغة الذاكرة الجماعية، بل والتأثير فيها

في مصر، اتخذت صناعة النوستالجيا أبعادا صارخة حيث قدّمت مسلسلات مثل "النهاية" (2020) و"الاختيار" (2021) صورةً مهذّبة لعصر مبارك: شرطي مرور يقف بانضباط في تقاطع خال كأنه ديكور مسرحي، موظفون حكوميون يصلون قبل الموعد إلى مكاتب تشعّ نظافة كأنها رسم على صفحات كتالوج. وما كان يوما ركودا خانقا وقمعا للحريّات صار في هذه الرواية "استقرارا مطمئنا"، يغري المتفرّج ويجعله يرى أنّ ما كان يخاله استبدادا متجذّرا تحوّل فجأة إلى شكل من أشكال "الحنان الأبوي" الدافئ.

وفي العراق، انتشر عام 2022 تحدي تيك توك غريب: مشاهد من تسعينات بغداد – أطفال يبتسمون وهم يحملون أقماع المثلجات، ضباط مرور، أسواق الكتب المزدحمة – كلها تتحرك على أنغام أغان شهيرة من عهد صدام، مثل "لدغة الحية" لكاظم الساهر. ولا وجود في هذه المقاطع للمقابر الجماعية، ولا ذكر لمجاعات زمن الحصار، فقط حياة يومية عادية... عادية بشكل مريب. أحد أكثر المقاطع إثارةً للقشعريرة ينتقل فجأة من لقطات حفل زفاف فاخر عام 1998 إلى صورة لنفس القاعة وقد تحولت إلى ركام عام 2003، كأنه يختزل صدمة جيل كاملٍ في ثوان معدودة.

أما الصناعة الغربيّة للنوستالجيا فتُضيف طبقة أخرى من التعقيد. مسلسل "بيت صدام" (HBO 2008) قدّم الدكتاتور العراقي كقائد لعصابة عائلية على طراز "العرّاب"، بينما حوّل فيلم "الشيطان المجاور" (نتفليكس 2019) حافظ الأسد إلى مجرد شرير يشبه أشرار أفلام الكرتون. وهنا أيضا يُختزل التاريخ المعقد في متضادّات صاخبة وشخصيّات تتأرجح بين الواقع والخيال وكأنّه يعكس مجرد صراعات نفسية.

هوة الذاكرة الجيلية

في استطلاع أجرته بي.بي.سي عربي عام 2023، عبّر 42 في المئة من العراقيين فوق الخمسين عن نظرة إيجابية لعصر صدام، مشيدين بـ"النظام والأمن"، بينما ربطه الغالبية العظمى من الشباب بالقتل والتعذيب فقط. هذا الانقسام الجيلي لا يعكس بالضرورة حقائق تاريخية مختلفة، بقدر ما يكشف عن تجارب حياتية متباينة، وربما عن حاجة نفسية عميقة إلى إعادة تفسير الماضي.

وهذا يحيلنا على ثلاثية الحنين الخالدة: حنين المنفيّ إلى الجغرافيا المفقودة، حاجة الناجين إلى إعادة صياغة جراحهم، معضلة الفنانين في التوفيق بين فظائع التاريخ وقصصه الإنسانية. تماما كما لخّصت المخرجة التونسية نادية الفاني هذا التناقض بعبارة تفيض مرارة: "لسنا نشتاق إلى الطغاة، بل نشتاق إلى أجزاء منا ضاعت في تلك الأزمنة".

النتيجة النهائية؟ لوحة تراكميّة أو ما يشبه مخطوطة قديمة مُسحت ليكتب عليها نص جديد، لكن ورغم ذلك مازالت آثار الحروف القديمة بارزة. تتداخل في تلك المخطوطة طبقات الدعاية الرسمية مع الذكريات الشخصية وخيبات ما بعد الثورات، حتى يصعب التمييز بين الحقيقة والوهم. وفي النّهاية نفهم أنّ هذا ليس تاريخا دقيقا، بل ذاكرة جماعية عاطفية، تقوم بعملية كيميائية معقدة لتحوّل عبء الماضي إلى راحة وهمية تساعدنا على المضي قدما.

تتعمّق الهوّة بين الأجيال يوما بعد يوم، ليس كمسافة زمنية فحسب، بل كانزياح في الوعي والذاكرة الجماعية. فأجيال الأربعينات وما فوقها تحمل في طيّات ذاكرتها تناقضات مؤلمة: ذكريات مشبعة بالخوف من بطش الأنظمة، أو التواطؤ الصامت معها تحت وطأة الضرورة، أو حتى ذلك الإعجاب المرغم الذي تولّده سنوات من التلقين السياسي. إنها ذاكرة لا تخلو من شرخ داخلي، حيث تختلط مشاعر الرهبة بومضات من الأمل القديم في التغيير.

أما الجيل الجديد، فينظر إلى تلك الحقبة بعيون مختلفة جذريا. فما كان لسابقيه شخصيات تاريخية حيّة عايشوها، يراه هو مجرّد رموز شاحبة تصله عبر وسائط مشوّهة: حكايات العائلة المليئة بالتحيّزات، أو الثقافة الشعبية التي تحوّل حكّام الماضي إلى شخصيات كاريكاتورية، أو التفسيرات السياسية الملتوية التي تخدم أجندات الحاضر. لم يعايش لحظة التمجيد ولا لحظة القمع، فصار الماضي بالنسبة له سرديةً مفتوحة للتأويل، لا تجربةً عضويةً تترك ندوبها.

الخطر هنا ليس في اختلاف الروايات، بل في تحوّل هذا الاختلاف إلى هوّةٍ وجودية تفصل بين الأجيال في فهمها للسلطة وحتى الهوية الوطنية. فبينما يتشبث الجيل القديم بذكريات قد تحمل في طياتها شرعنةً ضمنية للاستبداد بحجة "الأمان النسبي"، يرفض الجيل الجديد تلك الذاكرة جملة وتفصيلا، وكأنه يقطع جذورا قد تكون ضرورية لفهم تعقيدات الحاضر. وهكذا تصبح الهوّة الجيلية ليست مجرّد فجوة في العمر، بل انقساما في الوعي التاريخي نفسه، حيث يُختزل الماضي إما إلى حنين أعمى أو إدانة مطلقة، دون أيّ مساحة للفهم النقدي.

حميمية المذكرات الشخصية

تضيف المذكرات الشخصية بعدا جديدا لمعركة الذاكرة هذه. فهي لا تقدّم التاريخ كسردية كبرى، بل كهمسات شخصية تتردّد عبر الزمن. على عكس الوثائق الرسمية أو الأفلام التوثيقية، هي تسمح لنا بإلقاء نظرة خاطفة من ثقب الباب لاكتشاف كواليس السلطة، حيث تتعايش الحقائق المتناقضة.

في المذكّرات نستمع إلى روايات من عاشوا في قلب دوائر السلطة وتصبح السرديّات فسحات تتعايش فيها حقائق متعددة الأوجه، كل منها يحمل ثقل التجربة الحية ورؤيتها الخاصة. وتكمن قوة المذكّرات، التي تبلغ حد الإزعاج أحيانا، في طابعها الشخصي العميق.

في كتاب "العقيد وأنا"، تقدم دعد شرعب، التي عملت كمستشارة اقتصادية للقذافي على مدى 22 عاما، صورة نادرة للقذافي بعيدا عن الأضواء الرسمية. تصفه وهو يحتسي حليب الناقة من كأس متصدع، أو يذرف دموعا على فرسه النافق، أو يقضي نهاره قلقا على أبنائه. هذه التفاصيل الحميمة لا تكتفي بإضفاء الطابع الإنساني على الرجل، بل تحوله إلى شخصية مألوفة. دعد أيضا تروي كيف أن "الثعابين" المحيطة بالعقيد دمرت ليبيا، مستحضرة بذلك سردية تاريخية معروفة و قديمة، نفسها التي استُخدمت في زمن نيرو وفي زمن لويس السادس عشر بغاية الدّفاع عن السلطة وتبرير سياساتها.

في الطرف المقابل، يقدم عبدالرحمن شلقم، وزير خارجية ليبيا السابق الذي انشق عن النظام، في "نهاية القذافي" رؤية مغايرة تماما فشهادته تنزع عن العقيد كل أشكال العاطفة، كاشفة عن قائد كان قد استهلكه الهوس بالشك؛ يصرخ منذّدا بمؤامرات تحاك ضدّه، وينفجر غضبا، ولا يشعر بالثقة حتى بعائلته أو المقرّبين منه.

وما تراه شرعب لينا وعطفا، يراه شلقم قسوةً وشدّة. هذا التباين الصارخ لا يعود إلى صحة رواية على حساب الأخرى، بل إلى أن كلتيهما صادقتان من زوايا نظر مختلفة، تشكلتا حسب الموقع الذي احتله الكاتبان في فلك النظام.

هذه هي مفارقة المذكرات: كلما اقتربنا من السلطة، أصبح فهمنا أكثر تفتتا لكن لا تقتصر أهمية هذه المذكرات على كونها شهادات شخصية، بل تتعداها إلى كونها محاولات لصياغة الذاكرة الجماعية، بل والتأثير فيها. فحين تتحدث رغد صدام حسين عن حب أبيها للعراق مثلا، هي لا تبكيه فقط، بل تستحضر ذاكرة عائلية قد تطغى على تلك السياسية لتخاطب القلوب قبل العقول.

وهنا ربّما ننتبه لحقيقة مهمّة جدًا: الذاكرة ليست مجرد استحضار للأحداث؛ بل هي بناء نشط – ما يُستبقى، ما يُنسى، وما يُعاد تخيله.

قصقصة التاريخ

في عصر المنصات الرقمية واللقطات القصيرة، لم يعد التاريخ يُروى كما كان. المذكرات، تلك الشهادات المطوّلة التي كُتبت بأناة واستبطان، باتت في منافسة غير متكافئة مع مقاطع مجتزأة، وتسجيلات درامية، ووثائقيات سريعة الإيقاع. لحظة واحدة من محاكمة صدام حسين، أو مشهد ختامي من سقوط القذافي، قد تحصد الملايين من المشاهدات خلال دقائق، ليس لأنها تروي القصة كاملة، بل لأنها تُرضي فضولا لحظيا، وتلبي حاجة آنية إلى الانفعال.

لكن الخطر لا يكمن في التبسيط وحده، بل في هذا الشكل الجديد من "قصقصة التاريخ" – تحويل الماضي إلى شظايا بصرية ومقاطع صوتية منفصلة، تُبث عبر خوارزميات لا تُكافئ العمق، بل تروّج لما هو مثير، صادم، أو قابل لإعادة التدوير. بهذه الطريقة، لا يعود التاريخ مجالا للفهم أو المساءلة، بل مادة استهلاك، تُختزل فيها الحقب المعقدة إلى ثنائيات ساذجة: بطل أم طاغية؟ عهد النظام أم فوضى الثورة؟ استقرار الأمن أم فوضى الحرية؟

هذا التبسيط ليس مجرّد تحوير، بل إلغاء تدريجي للذاكرة النقدية. وعندما يُختزل التاريخ إلى لقطات، تصبح المجتمعات عاجزة عن فهم حاضرها المتقلّب. في عالمنا العربي، حيث تتكثف الأزمات وتتداخل، من جحيم الحرب في غزة، إلى خطر الانزلاق نحو مواجهة مع إيران، إلى انهيار المنظومات الإقليمية القديمة وصعود ترتيبات جديدة لا تزال في طور التشكّل، تصبح الحاجة إلى فهم الماضي ضرورة وجودية.

تتداخل في تلك المخطوطة طبقات الدعاية الرسمية مع الذكريات الشخصية وخيبات ما بعد الثورات، حتى يصعب التمييز بين الحقيقة والوهم

فما شهدناه من استبداد لم يكن مجرد انحراف عارض، بل هو مسار سياسي وثقافي متجذر، له أدواته وآلياته وخطابه. وفهم كيف نشأ، كيف ترسّخ، ثم كيف سقط، يُفترض أن يكون دليلا يرشدنا وسط الضباب الراهن. لكن هذه الدروس، بدل أن تُستخلص وتُناقش، تتبخر أمام سطوة اللحظة، وتضيع وسط الضجيج الإعلامي، ومغريات السرديات السهلة التي تُطمئن لا تُزعج، وتُسلّي لا تُعمّق.

إن قصقصة التاريخ لا تقتل الماضي فحسب، بل تُقزّم الحاضر وتُشوّش على المستقبل أيضا.

رسالة إلى قادة اليوم

ذاكرة العهود الاستبدادية ليست مجرّد حكاية من الماضي، بل فرصة للتأمّل واستخلاص العِبر. فهي تذكّرنا بأن نماذج الحكم التي ارتكزت على الفرد الواحد، مهما بدت مستقرة، لم تكن منيعة. خلف الواجهات المؤسسية، كان القمع يُقدَّم كضمانة للنظام، إلى أن هبّت رياح التغيير وأسقطت تلك الأوهام. قد لا تكون الثورات العربية قدّمت بدائل مكتملة، لكنها كشفت أمرا جوهريا: الاستبداد ليس قدرا لا مفر منه.

ومع ذلك، لم يكن سقوط الطغاة نهاية القصة. ما تلا ذلك في الكثير من الأحيان كان مرحلة مضطربة: مؤسسات ضعيفة، تدخلات أجنبية، انقسامات داخلية، وصراعات تفاقمت بفعل هشاشة البنى السياسية. في مثل هذا السياق، تصبح مهمة القيادة أكثر تعقيدا من مجرد الحفاظ على النظام القائم؛ تصبح مسؤولية بناء توازن جديد، أكثر عدلا واستقرارا.

العالم اليوم مختلف في عمقه وسرعته. المعلومات تنتشر بلا عوائق، والروايات لا تُصنع فقط في المؤسسات الرسمية، بل في الفضاءات الرقمية، بين وسوم ومنشورات تصل إلى الملايين في لحظات. لم تعد السلطة مركزية كما في السابق، بل باتت موزعة بين أطراف فاعلة كثيرة، داخلية وخارجية، رسمية وغير رسمية.

هذا التغير العميق يتطلّب مقاربات جديدة. التحديات من حولنا، من جراح غزة إلى آثار الصراع السوري، ومن أدوار القوى الإقليمية المتغيرة إلى قضايا الأمن والاقتصاد، لا يمكن التعامل معها بالأدوات نفسها التي كانت تُستخدم في العقود الماضية. هناك حاجة إلى دبلوماسية أكثر اتزانا، ومؤسسات أكثر رسوخا، ورؤية سياسية تنبع من إرادة الإصلاح لا من خشية التغيير.

الحنين الذي يشعر به بعض الناس إلى عهود سابقة لا يعني بالضرورة رغبة في عودة الاستبداد، بل تعبير عن توق إلى الاستقرار والوضوح. لكن هذا الحنين، إذا لم يُفهم جيدا، قد يُستخدم لتبرير العودة إلى نماذج سلطوية لم تعد قابلة للحياة. ما نحتاجه اليوم ليس استدعاء الماضي، بل استلهام دروسه لبناء شرعية جديدة، أكثر استجابة لحاجات الناس وتطلعاتهم.

الجيل الذي نشأ بعد الثورات اختبر الأزمات عن قرب، لكنه أيضا صار أكثر وعيا بالفرق بين الهدوء القسري والسلام الحقيقي. إنه جيل يتطلّع إلى سلطة عادلة، تستمع وتصلح، لا تُهيمن وتُخيف. وتقاس شرعية الحكّام اليوم بقدرتهم على التعامل مع ملفات حيوية: الاقتصاد، البيئة، الديموغرافيا، والتحولات الثقافية المتسارعة.

التاريخ لا يغيب، حتى وإن خفُت صوته أحيانا. فالحُكم الذي يتجاهل دروسه معرض للوقوع في أخطائه. وفي زمن مفتوح على كل شيء، حيث تنتقل الصور أسرع من القرارات، وتُحفظ التفاصيل في ذاكرة لا تنام، تصبح الشفافية والانفتاح ضرورات لا خيارات.

المستقبل، في نهاية المطاف، لن يكون لمن يتشبثون بأنماط حكم تجاوزها الزمن، بل لأولئك الذين يتحلون بالمرونة والبصيرة، ويملكون الشجاعة لإعادة تعريف السلطة: كمسؤولية مشتركة، لا كامتياز دائم؛ وكفرصة للإصلاح، لا كوسيلة للبقاء؛ وكعلاقة تقوم على التواضع، لا التسلط.

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

«صقر الصحراء» من السجن إلى ترتيب أوراق الساحل الصحراوي

الجنرال حسان

مصالح الجزائر تتعدى ارتدادات الصراعات الضيقة ومشاعر الجحود

● المؤسسة العسكرية تعيد حساباتها

● شنقريحة يعيد الجنرال حسان إلى ملف الساحل

صابر بليدي
صحافي جزائري

بعد خمس سنوات قضاها في السجن، وخمس أخرى أمضاها على دكة التقاعد، عاد الجنرال عبدالقادر آيت وعرابي (حسان)، إلى أبرز دائرة في الاستخبارات الجزائرية، وهي مديرية الأمن الداخلي.

وإذا كان الانطباع الأولي يشي بأن الرجل سيهتم أو يتفرغ للشأن الأمني الداخلي، فإن كل المؤشرات توحي بأن منصبه الجديد، سيكون امتدادا لدور يراد له أن يؤديه على جبهة الساحل والصحراء، التي تحولت إلى مصدر قلق حقيقي للقيادة السياسية في البلاد، فالرجل من الكفاءات النادرة في مرحلة المجد الاستخباراتي الجزائري، التي ألمت بتفاصيل وجزئيات المشهد الأمني والسياسي والاجتماعي في المنطقة.

القيادة التي أربكتها تطورات منطقة الساحل والأزمة مع فرنسا، أرشدتها للاستعانة مجددا بالجنرال المخضرم من أجل ضبط الأوتار

وظل الجنرال عبدالقادر آيت وعرابي يوصف بـ"صقر الصحراء"، بسبب دوره الميداني والعملياتي، حيث صال وجال منذ مطلع التسعينات في جنوب البلاد، وتجاوز الحدود إلى الساحل وجنوب الصحراء، في ملاحقة الجماعات الجهادية بالقوة الصلبة والناعمة في آن واحد، فكما كان يواجهها بالسلاح، كان يخترقها بالعناصر البشرية وبالخطاب الديني والسياسي، فتمكن من معرفتها من الداخل واستشراف قراراتها.

وإلى غاية انفجار ثورات الربيع العربي وسقوط أنظمة عربية، كنظام القائد الليبي معمر القذافي، تخصص الجنرال حسان في احتواء السلاح الليبي المتدفق في الصحراء بين أيدي مختلف الجماعات المسلحة.

تجربة وعرابي في جنوب البلاد، وامتداد مهامه إلى دول الساحل وجنوب الصحراء، مكنته من معرفة المجتمعات المحلية، وربط صلات مع النسيج القبلي، والاحتكاك بمختلف الأعراق والإثنيات الأفريقية، بما فيها الموالية للفكر الصوفي، أو القابلة لاعتناق الأفكار الجهادية، فكانت معطياته بمثابة المرشد للمؤسسات الرسمية في الدولة.

ولذلك كانت تحولات المنطقة تتم تحت عيون وتجربة الجزائر، إلى غاية انقطاع قنوات الشبكة بداية من العام 2015، الأمر الذي ترك فراغا سياسيا وأمنيا وإستراتيجيا، انقلب في السنوات الأخيرة إلى متاعب حقيقية، أفقدتها نفوذها ودورها الطبيعي والتقليدي في المنطقة.

طي تركة الصراع والعقاب

يعود الجنرال حسان لقيادة أبرز مديرية في جهاز الاستخبارات، فبعد تهم مخالفة الأوامر العسكرية، وإتلاف وثائق سرية، وتشكيل مجموعات مسلحة، وامتلاك سلاح خارج منظومة المؤسسة، ثم تتويجه بحكم البراءة على مشارف استنفاد المحكومية العام 2020، تراهن دوائر القرار على خبرة ورصيد الرجل لاستعادة التوازن وضبط الأوتار في منطقة الساحل بشكل يكفل لها كسب زمام المبادرة ومكانتها الطبيعية.

قالت عنه مجلة "لوبوان" الفرنسية إن "الجنرال حسان، يعتبر أسطورة حية، ومغامرا، جريئا، ولكنه عقلاني. بدأ مسيرته في سلاح البحرية في الستينات، وتخرج من مدارس عسكرية مرموقة، وعمل في مديرية أمن الجيش، قبل أن ينضم إلى الحرب ضد الإرهاب في 1992. وإنه في ذروة العشرية الدموية 1990 – 2000، كان قريبا من رجاله، وشارك في الميدان، حتى إنه أصيب بجروح في حاجز مزيف نصبه إرهابيون في منطقة البليدة، (50 كلم جنوبي العاصمة) وفي عام 1993، كُلّف بمهام خارجية في الساحل، التشاد، والسنغال، مما جعله خبيرا معترفا به في قضايا الأمن في منطقة الساحل والصحراء. وأصيب بجروح خطيرة أثناء مهمة في أنغولا، ونال تهنئة الأمين العام للأمم المتحدة لشجاعته".

وأضافت "في 1999، عاد إلى الجزائر والتحق مجددا بمكافحة الإرهاب. بفضل خبرته في الاستخبارات والاختراق، ساهم في إحباط عدة عمليات إرهابية داخل الجزائر وخارجها، نال عنها إعجاب شركاء فرنسيين وأميركيين. ويقال إنه الضابط الأكثر تتويجا في الجيش الجزائري، لكن الضربة الكبرى في مسيرته، والتي أدت لاحقا إلى سجنه، كانت حادثة تيغنتورين العام 2013".

وتابعت "بعد سقوط نظام القذافي في ليبيا العام 2011، كلفه قائد الجهاز (توفيق)، بمهمة سرية لاستعادة أسلحة، بينها صواريخ مضادة للطيران كانت ستصل إلى جماعة إرهابية بقيادة الجزائري مختار بلمختار. فاخترق رجاله الجماعة، وشاركوا في الصفقة، ورفعوا السعر، واشتروا الأسلحة، ثم قضوا على المجموعة واستعادوا المال، في عملية استخباراتية بامتياز".

هذه الإنجازات جعلت الجنرال حسان من الكفاءات البشرية النادرة في الجهاز الاستخباراتي، لاسيما وأن سنوات الخدمة والخبرة المتراكمة في منطقة الساحل والصحراء، وقدرته على اختراق النسيج الأمني والاجتماعي وحتى السياسي في المنطقة، أمّنت لمؤسسات الدولة قبل العام 2013 المعطيات الحقيقية التي تكفل لها مراقبة وتوجيه التحولات المحلية في الاتجاه الذي تريد، ولذلك فإن القيادة السياسية التي أربكتها تطورات منطقة الساحل والأزمة مع فرنسا، أرشدتها للاستعانة مجددا بالجنرال المخضرم من أجل ضبط الأوتار واستعادة المبادرة، بالاستفادة من خبرة ورصيد الرجل.

وكانت هذه الحصيلة كافية لاقتناع القيادة السياسية الجزائرية بإعادة الجنرال عبدالقادر آيت وعرابي إلى قيادة دائرة الأمن الداخلي، من دكة التقاعد، خلفا للجنرال عبدالقادر حداد، وهي الخطوة المفاجئة التي ترجمت نية دوائر القرار في استغلال خبرة ورصيد الرجل الميداني والمهني في منطقة الساحل والصحراء، والاستفادة من معرفته بالنسيج الأمني والاجتماعي بالمنطقة من أجل مواكبة التحولات التي تعيشها المنطقة في السنوات الأخيرة، خاصة وأنها تحولت إلى مصدر قلق حقيقي للجزائر، لاسيما في ظل دخول فاعلين أقوياء على خط الأزمة.

وتفاديا للغط الذي أثير غداة الإعلان الرسمي عن تعيينه على رأس مديرية الأمن الداخلي، خلفا للجنرال عبدالقادر حداد (ناصر الجن)، تداركت وزارة الدفاع الجزائرية الأمر، ببث صور قرار التعيين وتسليم واستلام المهام بين الرجلين بمقر المديرية، وتحت إشراف الوزير المنتدب للدفاع الوطني الجنرال سعيد شنقريحة، وبذلك يكون الرأي العام قد شاهد لأول مرة في التلفزيون الحكومي صورة الضابط السامي المخضرم الذي لا تحفظ له صورة لدى وسائل الإعلام أو في مخيلة الجزائريين المتابعين للشأن العسكري والأمني.

اعتراف الخارج قبل الداخل

ذهبت الصور التي بثها التلفزيون الحكومي إلى تكريس توجه المؤسسة العسكرية لإضفاء الشفافية على سيرورة عملها، وعلى بنيتها البشرية، من خلال إظهار ضباطها السامين في مختلف الدوائر، بزيهم العسكري وحتى بالبدلة المدنية، كما كان الشأن مع مدير الأمن الخارجي الجنرال رشدي موساوي، الذي ظهر في فعالية الأمن السيبراني في أفريقيا التي احتضنتها الجزائر منذ عدة أسابيع، وتلاه ظهور مدير الأمن الداخلي الذي لا يحفظ له الجزائريون ولا حتى الإعلام المحلي، صورة شخصية.

قرار عودة الجنرال المتقاعد إلى أبرز منصب في جهاز الاستخبارات، أثار العديد من الدلالات والرسائل الداخلية والخارجية، فهو ضابط سام مخضرم، ظل يشكل الذراع اليمنى لمدير المخابرات السابق الجنرال محمد مدين (توفيق)، فهو علاوة على صلة القرابة التي يرددها المتابعون، يعد أحد رجالات الثقة الذين عول عليهم الرجل في عمل الجهاز منذ مطلع تسعينات القرن الماضي إلى غاية حل الطبعة الماضية للجهاز، وإحالة مسؤوليه الكبار على التقاعد في 2015.

وإذا كان قدوم الرئيس الراحل عبدالعزيز بوتفليقة إلى سدة الحكم في 1999 قد تم في بداية الأمر بالتوافق مع النخبة العسكرية والاستخباراتية النافذة، فإن طموح الرجل ونرجسيته في ممارسة صلاحياته وأكثر كرئيس للدولة، جعله يدخل منذ العام 2004 في معركة سحب البساط تدريجيا من تحت النخبة العسكرية، وكان ذكيا في إدارة الصراع بتلافي المواجهة المباشرة، واعتماد أسلوب التحالفات الظرفية، فتحالف مع مدير الاستخبارات الجنرال توفيق، للإطاحة بقائد الأركان الراحل محمد العماري في 2004، واستعان بقائد الأركان الذي خلفه الجنرال الراحل أحمد قايد صالح، للإطاحة بالجنرال توفيق.

مخاطر الصراعات الضيقة

كانت الولاية الرئاسية الثالثة (2009)، إيذانا بارتفاع صوت المواجهة بين جناح الرئاسة وجناح الاستخبارات في إطار لعبة التوازنات والنفوذ داخل السلطة، وجاءت حادثة "تيغنتورين" العام 2013، التي أدارها جهاز الاستخبارات، وأوعز الرجل الأول في الجهاز حينها (توفيق)، إلى مدير مصلحة مكافحة الإرهاب (حسان)، بالتدخل العسكري لإنهاء عملية الاختطاف، رغم أن توصيات أميركية وفرنسية وبريطانية كانت تلح على الرئيس بوتفليقة بتفادي سيناريو التدخل العسكري حفاظا على أرواح الرعايا الأجانب العاملين في المحطة الغازية "تيغنتورين"، بالقرب من الحدود الليبية.

وشكلت الحادثة منعطفا حاسما في مسار الصراع بين الرئاسة وجهاز الاستخبارات، فالعملية التي نفذها تنظيم "الموقعون بالدم" المقرب من القاعدة، ويقوده مختار بلمختار (بلعور)، كانت محاولة لاختراق المحطة الغازية المهمة في إنتاج الغاز الجزائري، واختطاف العاملين بها من جزائريين وأجانب تابعين لشركات متعددة الجنسيات، من أجل إرغام السلطة الجزائرية على الدخول في مفاوضات معه لإطلاق سراح عدد من قيادات التنظيمات الجهادية المسجونة، على غرار الأمير عبدالرزاق صايفي (البارا).

الاهتزازات التي عاشها جهاز الاستخبارات في إطار صراع الرئاسة والجهاز كلفت الدولة فراغا كبيرا في مناطق العمق الحيوي

وكانت كل الخيارات آنذاك مطروحة، بما فيها التفاوض مع التنظيم المسلح، خاصة وأن عواصم غربية وأميركية كانت تلح على ضرورة تفادي التدخل العسكري حفاظا على سلامة الرعايا الأجانب، بعدما أطلق الخاطفون الرعايا الجزائريين، غير أن قيادة جهاز الاستخبارات آنذاك فاجأت الجميع، بما فيها رئاسة الجمهورية وقيادة أركان الجيش التي لم تكن على ود معها، وأعطيت التعليمات لمدير مصلحة التدخل ومكافحة الإرهاب بقيادة حسان، لتنفيذ الهجوم الذي قضى على الخاطفين والمخطوفين جميعا، منهم 37 رعية أجنبية من جنسيات مختلفة، ولم يسلم إلا أربعة أفراد من التنظيم المسلح، الذين جرى توقيفهم إلى غاية الآن، وكان مبرمجة إحالتهم على المحاكمة منذ أيام، قبل أن يتم تأجيلها إلى وقت لاحق.

العملية أثارت لغطا كبيرا في واشنطن وعدة عواصم غربية، ووجد الرئيس بوتفليقة فيها ذريعة لاتخاذ خطوات جريئة تجاه جهاز الاستخبارات، بدعم من قائد أركان الجيش آنذاك، الجنرال الراحل أحمد قايد صالح، فقرر الإطاحة بالجنرال حسان، ومباشرة محيطه المقرب في تصفية الجهاز، بينما كان هو يرقد في مستشفى فال دوغراس الفرنسي للعلاج من جلطة دماغية ألمت به العام 2013.

ويرى متابعون للشأن الجزائري أن الاهتزازات التي عاشها جهاز الاستخبارات في السنوات الماضية في إطار صراع الرئاسة والجهاز، وغياب الانسجام والتواصل السلس بين الطبعة المنحلة والطبعة المستحدثة بداية من العام 2015، هما اللذان كلفا الدولة فراغا كبيرا في مناطق العمق الحيوي، على غرار الساحل الأفريقي، ومنطقة الجوار.

وأثرت التجاذبات التي طرأت على جهاز الاستخبارات والقيادة العسكرية والرئاسة خلال العقد الأخير، كثيرا على فقدان خيوط تحرك الوضع الأمني والاجتماعي وحتى السياسي في عموم المنطقة، ولذلك باتت المؤسسات الرسمية في الجهاز الدبلوماسي مقطوعة عن الواقع والمعلومات الميدانية التي كان يؤمنها الجهاز الاستعلاماتي.

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

شاعر يكتب بروح مواطن ويبدع بعين ناقد

محمد عرش

يسائل العالم ليضيء زواياه ويعيد تشكيله بالكلمات

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

تسطع تجربة الشاعر والناقد المغربي محمد عرش في المشهد الثقافي المغربي بتوهّج خاص، إذ تنبع من التزام عميق بالكلمة وموقف واضح من الثقافة والحياة. ويتجلّى حضوره في تفاصيل الفعل الثقافي بمختلف تجلياته. يشارك دون تردد. يتحرك باندفاع إنساني وشغف فني نادر، ويستجيب للدعوات الثقافية بكل سخاء، دون أن يتساءل عن مقابل أو يُبدِي ضيقا بمكان أو زمان.

عرش يشتغل على نصوصه داخل المجتمع، يشتبك مع اليومي، ويمنح تجربته أبعادا سياسية واجتماعية مؤمنا بالالتزام الشعري والمدني

وينسج عرش لنفسه حضورا يمتدّ إلى روح الفعل الثقافي في عمقه ومقاصده، إذ يتقدم صوب الأمسيات الشعرية والندوات الفكرية دون تكلّف، ويتعامل مع الثقافة باعتبارها فعلا جماعيا ومسؤولية أخلاقية، يُستدعى إليه بحفاوة، لأنه يعرف كيف يمنح دون صخب، ويصغي قبل أن يتكلم، كونه يبني قصيدته بوعي الشاعر المتمرّس، المتصالح مع اللغة والمشتبك مع الأسطورة والرمز، في محاولة لتفجير الدلالة وتوسيع فضاء المعنى. يختار التضمين بعناية، يشحن الصورة الشعرية بطاقة رمزية، يحررها من سطحيتها، ويفتحها على التأويل، فيعود شريكا في تأويل النص وتفكيكه.

الشاعر والتجربة

يشتغل محمد عرش على اللغة بعين الصائغ، يعيد تشكيلها كما يشاء، يقطع وينحت، ثم يعيد التوازن إلى الجملة الشعرية كما يفعل الموسيقي مع لحن شارد، ويقدّم شعرا ينتمي إلى تقاليد القصيدة المغربية الحديثة، مع حرص واضح على التجديد في الشكل والعمق في المضمون.

وينخرط في النقد بنفس الحماسة التي يكتب بها الشعر، ويقرأ التجارب برؤية تتكئ على الذوق والمعرفة، يقدم نصوصا نقدية بعبارات شفافة، ويوظف المفاهيم في سياق يخدم النصّ ولا يعطّله ويتعامل مع النقد كجسر نحو الفهم والمكاشفة، يكتب عن شعراء مجايلين له وعن تجارب ناشئة، في سلوك يعكس حسّه التربوي وانخراطه في بناء الوعي الجمالي العام.

يشتغل عرش داخل المجتمع، يشتبك مع اليومي، ويمنح تجربته أبعادا سياسية واجتماعية، دون أن يفصل بين الالتزام الشعري والموقف المدني، ويمارس السياسة انطلاقا من إيمانه بأن الشاعر يعيش في صلب التحولات، ويحمل همّ الناس ويتحدث لغتهم، ويشتغل من داخل الجماعة الترابية، ويُسائل الواقع، ويجتهد في تحسين شروط العيش، دون أن يتنازل عن الحلم أو يفقد البوصلة.

ويمنح للتربية مكانة مركزية في حياته، ويمارس التعليم بصفته رسالة لا مهنة، وينقل القيم قبل المعلومات، بشكل الأجيال في كل لقاء ثقافي أو جلسة حوار، ويربط المدرسة بالمجتمع، مؤمنا بأن المثقف لا يكون مثقفا إلا إذا حمل همّ مجتمعه وساهم في رقيه، ويحافظ على علاقاته الإنسانية بكثير من الوفاء، ولا تُغيّره المواقع ولا تُعكّر صفاءه الخصومات العارضة. يستقبل الناس ببشاشة، يدعوهم إلى مائدته كما يدعوهم إلى قصيدته، لا يفرّق بين الشعراء والناس العاديين، لأنه يعتبر الجميع شركاء في الحلم والإنصات والعيش المشترك.

خلق المعنى

يكتب الشاعر محمد عرش بروح مشبعة بالصدق، ويمزج بين الذكريات والتأملات، بين الذات والآخر، بين الحلم والواقع، ليصنع نصوصا تسكن المتلقي وتوقظه، ويجعل من هشاشته عنصر قوة، يمشي في اللغة كما يمشي في الحياة: بخطى هادئة، واثقة، ومتزنة، ويتحول الإبداع عنده إلى مرآة يرى فيها القارئ نفسه، ويتحول النص إلى تجربة وجدانية وجمالية تسكن الذاكرة. ويشتغل على الكلمة بصدق نادر، يجعل منها نبضا لحياة داخلية وموقفا من العالم الخارجي. يكتب كما يعيش، ويعيش كما يكتب.

ويبرز الشاعر في ديوانه "أنثى المسافات" تجربة شعرية متقدمة تتجاوز البنية التقليدية للقصيدة، وتغوص في تفاصيل الذات واللغة والواقع برؤية حيوية وواعية، إذ يُشغّل أدواته البلاغية والإيقاعية بطريقة تمكّنه من تحويل اليومي العابر إلى لحظة شعرية نابضة، ويُعيد ترتيب العلاقات بين الكلمات والمعاني ليُنتج نصوصا مفتوحة على التأويل، قائمة على الانفجار الشعوري المراقب، ويُوظّف اللغة بوصفها بنية مستقلة، تُقاوم وتشتبك وتشارك في خلق المعنى، فيظهر الشاعر كما لو أنه ينحت قصيدته من الداخل، لا يكتبها من الخارج.

الشاعر يدخل بنا شوارع مدينته الخلفية

المثقف عند عرش عضوي أو لا يكون

يُركز الشاعر على التفاصيل الصغيرة التي تُهمل عادة، ويُفعّلها شعريا لتُصبح نوافذ لرؤية أكثر عمقا للحياة والوجود، ويُحيل التفاصيل اليومية إلى إشارات رمزية تستبطن تجربة الإنسان المعاصر في وحدته، وفي تشتته، وفي علاقته بالزمن واللغة والمرأة، ويُعيد ترتيب نظرتنا إلى الأشياء، صانعا صورة بديلة، ففي إحدى قصائده يقول: "باع كل النوى واستوى/ وارتوى بعذاب الهوى وهوى."

ويُشكّل هذا المقطع نموذجا على اشتغال الشاعر على التراكيب الصوتية والإيقاعية، ويكشف عن طاقة داخلية في اللغة نفسها، حيث التكرار والتدوير والانزياح أساليب تُسهم في خلق موسيقى تشتبك مع المعنى، ويُحوّل الفعل الشعري إلى فعل جسدي تقريبا، يحمل لذة وانفعالا، ويمنح القصيدة جسدا وإيقاعا وروحا.

ويُمارس عرش نوعا خاصا من التجريب اللغوي يتسم بالوعي النقدي، ويُوظّف المفردة النحوية في سياق شعري، ويُحول المصطلح إلى مادة شعرية قابلة للتشكيل، كما في قصائد مثل "جواب ابن مالك" و"المقهى" و"اشتهاء لاغتسال الرياح"، ويُفكك البنية اللغوية ويُعيد بنْينتها بما يُنتج قصيدة تُحاور اللغة من الداخل، وتُحرّك القارئ نحو قراءة مزدوجة: قراءة في المعنى، وقراءة في اللغة التي تُنتجه. يُحوّل النحو إلى أرض شعرية، ويُعيد تأويل قواعده من داخل القصيدة لا من خارجها، ليُبيّن كيف يمكن للغة أن تُنْبت شعرا حين تُلامسها روح الشاعر لا قوالب العادة.

ويُجسّد الشاعر علاقة عميقة بالقصيدة، تُشبه علاقة الجسد بالعاطفة، والروح بالرغبة. يُقدّم القصيدة بوصفها أنثى مراوغة، معشوقة تُطلب وتُراوَد، تتمنع أحيانا وتشتعل أحيانا أخرى، ولا يُخفي اشتغاله على "أنثى القصيدة" بوصفها صورة رمزية للكتابة نفسها، حيث تتقاطع الرغبة الجمالية مع الرغبة الوجودية. يكتب: "تراود نصا وتفتح أبوابا لتأويل رغبة امرأة مشتعلة،" ويضيف: "سأرافق الليل حتى أفجر نبع القصيدة."

ويفجّر الشاعر هنا علاقة حسية مع النص، ويحوّل فعل الكتابة إلى مرافقة ليلية، مسكونة بالتوتر والرغبة والتأمل، بما يُكرّس القصيدة ككائن حيّ يتطلب معايشة كاملة، كما يُعلي من شأن التجربة ويمنح اللغة عمقا يتجاوز اللفظ نحو المعايشة الحقيقية للحظة الكتابة.

ويُبلور عرش رؤية شعرية تنطلق من الداخل لا من الخارج، وتنمو من التوتر الذاتي لا من الزخرفة الشكلية، ويُعيد ترتيب علاقة الذات بالقصيدة، ويكتب من مكان فيه احتراق وانكسار ووعي، يُوظّف الصور لبناء فضاء دلالي قادر على احتواء أسئلته الخاصة، ويؤمن بأن القصيدة التي لا تُكتب من معاناة صادقة هي قصيدة بلا روح، لهذا تخرج قصائده وكأنها امتداد لألمه وفرحه، لقلقه وهدوئه، لتأمله وتمرده.

ويُنتج الشاعر في "أنثى المسافات" نصوصا تحتفي باللغة بوصفها فضاء للخلق، وتشتبك معها لاستهلاكها وتفجيرها في آن. يكتب عن الشمس، وعن الرمال، وعن البحار، لكنه يُحمّل هذه الكائنات بُعدا رمزيا، ويجعلها تتحدث عن الإنسان، عن الاغتراب، وعن البحث المستمر عن النور والمعنى، نقرأ: "تضحك البحار من نضوب الرمال. وتحلق بعيدا لتحضن شمس لغة سطعت."

يُمارس الشعر هنا دوره الجوهري: مساءلة العالم، ومحاولة إضاءة زواياه، وإعادة تشكيله بالكلمات.

الخاص والعام

محمد عرش هو شاعر مغربي معاصر ينتمي إلى جيل الثمانينات من القرن العشرين، رغم أن بداياته الشعرية تعود إلى السبعينات، إذ يتميز شعره بالصوت الفردي المتشظي، ويمزج بين قصيدة التفعيلة والنثر الشعري والومضة، ليعبّر من خلالها عن رحلة بحثه الدائم عن الحنان والوجود. فقد والدته في طفولته المبكرة، وهو ما ترك أثرا نفسيا عميقا وجعل الشعر وسيلته للغوص في أعماق الذات والبحث عن "وجه الأم" الغائب.

أصدر محمد عرش عدة دواوين مهمة شكلت مراحل مختلفة من تجربته الشعرية، منها ديوانه الأول "أحوال الطقس الآتية" الذي حمل طابعا سياسيا وأيديولوجيا، ونشره على نفقته الخاصة، ثم توالت أعماله مثل "أنثى المسافات" و"مغارة هرقل" و"كأس ديك الجن" وكان ديوانه الأخير "مخبزة أونغاريتي" محطة بارزة في مسيرته، حيث استوحى تجربة الشاعر الإيطالي جوسيبيه أونغاريتي، معبرا عن الألم والحرية في لغة شعرية متجددة ومركزة. وتأثر الشاعر بعدد من التيارات الشعرية العربية والغربية ورموزها، مثل مالارميه وبودلير ورامبو وإليوت وإدغار آلان بو، بالإضافة إلى تأثيرات من شعراء عرب كبار كعبدالوهاب البياتي وأدونيس، وهذا التنوع أثرى تجربته وأضاف أبعادا عالمية لشعره الذي يعكس صراعات الإنسان النفسية والاجتماعية.

الشاعر يكتب قصائده بروح مشبعة بالصدق ويمزج بين الذكريات والتأملات، بين الذات والآخر، بين الحلم والواقع

ويرى عرش أن الشعر المغربي يمتلك قوة ثقافية وفكرية هامة رغم التحديات التي تواجهه، ويؤكد على ضرورة وجود نقد جاد يميز بين الجيد والرديء لتطوير المشهد الشعري. وبالنسبة إليه الكتابة تجربة مستمرة لا تتوقف، تقوم على المحاولة والتجديد والإصرار على التعبير.

ويبدأ محمد عرش كتابته غالبا في لحظات من القلق الوجداني والإلهام المفاجئ، حيث يستيقظ ليخوض تجربة صياغة النصوص التي يحرص على تنقيحها بعناية، جعلت شعره يتسم بالتركيز اللغوي والتماسك الفني. وبذلك يظل محمد عرش واحدا من الأصوات الشعرية المغربية التي تربط بين التجربة الذاتية والامتداد الثقافي الأوسع، محققا توازنا بين الخصوصية والعمومية في كتاباته.

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

جيل الرواد انتهى وما عاد بإمكان شعرائه كتابة نص شعري جديد

حميد سعيد: بغداد في الوعي، القصيدة في التحول، والمنفى وطن

كان لتنقل الشاعر حميد سعيد بين الأمكنة ولتمرده على الانغماس في تيار أو حركة شعرية، أثره في تجربته الشعرية ومواصلته البحث الدائم عن قصيدته وفيها، مجددا صوته مع كل نظرة وموضوع، ما مكنه من بناء تجربته الأدبية المختلفة، التي أهلته لنيل اهتمام بالغ آخره تتويجه بجائزة سلطان العويس الثقافية. "العرب" كان لها معه هذا الحوار حول رحلته وتجربته.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

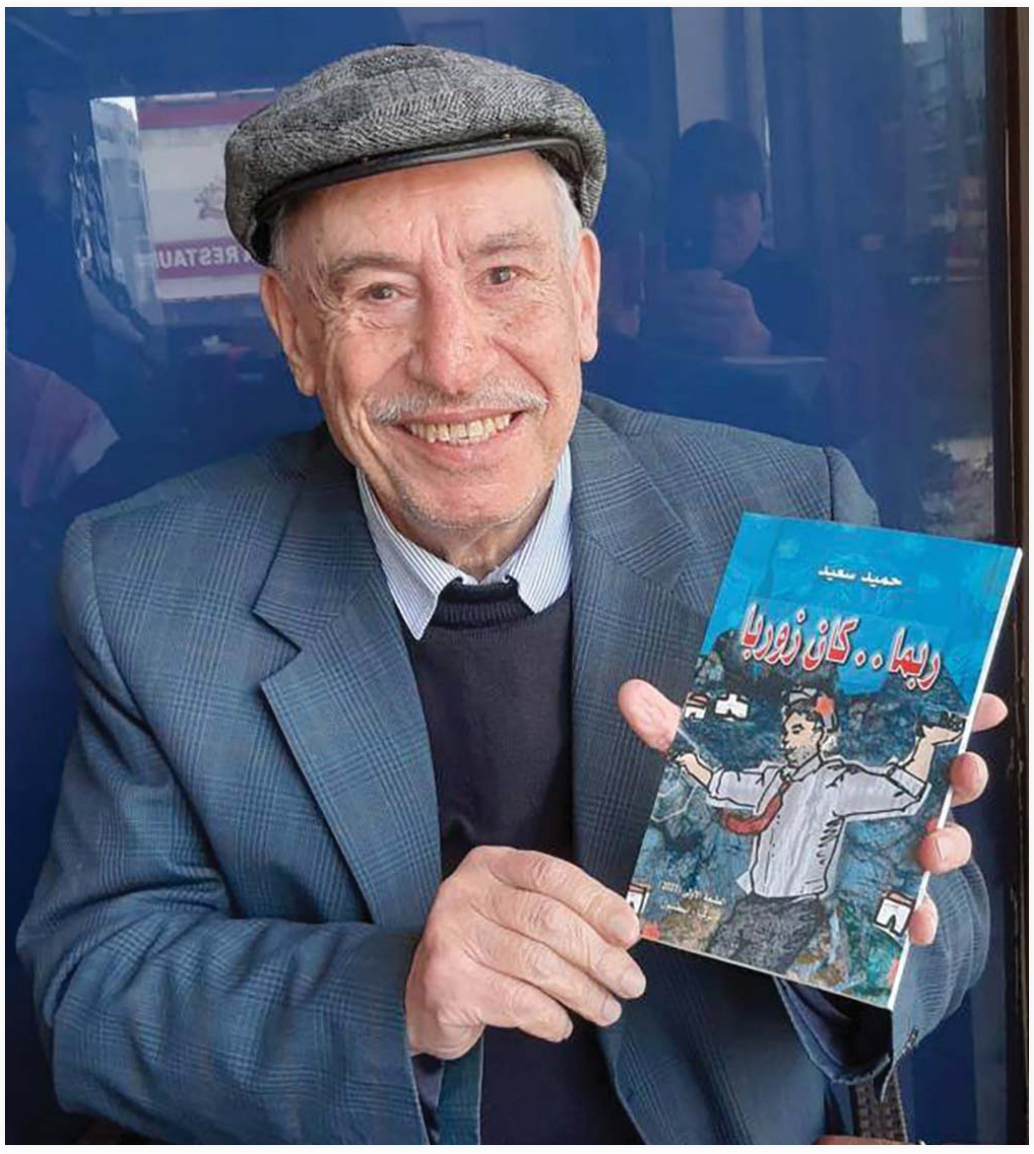

بغداد مكان ورمز في آن واحد

يعتبر الشاعر العراقي حميد سعيد، الفائز بجائزة سلطان العويس الثقافية في دورتها التاسعة عشرة، قامة شعرية فريدة. قصيدته ليست مجرد كلمات، بل هي مرآة تعكس وعيا عميقا بالذات والتاريخ، يتجاوز الزمان والمكان. هذا الوعي، كما يراه سعيد، هو نتاج تفاعل عام، لكنه يختلف من شخص إلى آخر ومن مرحلة إلى أخرى، ليخرج لنا نصوصا تحمل بصمته الخاصة.

رحلة حياة الشاعر انطلقت من الحلة حيث ولد ونشأ، ومنها إلى بغداد حيث انغمر في النشاط السياسي والثقافي، لتتوالى محطاته في مدن مثل السليمانية ومدريد والرباط وعمان. كل من هذه المدن كانت محطة مهمة في تجربته، أتاحت له المراجعة والتأمل والتحرر من بعض الثوابت، وصقلت وعيه وأثرت تجربته الشعرية، حتى في مفهومه الخاص للمنفى والوطن. ورغم تصنيفه ضمن جيل الستينات، فإن قصيدته تشكل امتدادا لتجربة الرواد، ساعيا لكتابة قصيدته الخاصة دون تكرار قصائد الآخرين.

التجديد الشعري

● العرب: في تجربتك الطويلة، كيف تعرّف مفهومك الخاص للقصيدة؟ هل تراها صوتا ذاتيا، أم استجابة لنداء جماعي؟

■ حين تصدر القصيدة عن وعي ذاتي، فهذا الوعي هو نتاج تفاعل عام، أو ما وصفه السؤال بالنداء الجماعي، غير أن هذا التفاعل، لا ينتج نسخة واحدة ومكررة من الوعي الذاتي، فلكل تجربة على هذا الصعيد، مكوناتها، لذا يختلف هذا الوعي بين شخص وآخر. بل إن الوعي العام ذاته، يختلف بين شعب وآخر وبين جماعة وأخرى، كذلك بين مرحلة زمنية وأخرى.

> لكل موضوع ما يناسبه من التعبير اللغوي كما للشعر لغته إذ لكل قصيدة لغتها التي تناسب موضوعها وزمنها

أما القصيدة وهي مثل كل النتاجات الفكرية، فتصدر عن وعي ذاتي، هو نتاج تفاعل مع الوعي العام بجميع مكوناته، الثقافية والاجتماعية والتاريخية. من هنا نجد التنوع في مكوناتها وفي تأثيرها، فالقصيدة حتى في المرحلة الواحدة والمجتمع الواحد تختلف من شاعر إلى آخر وقد تختلف بين مرحلة زمنية وأخرى عند شاعر واحد.

● العرب: قصيدتك مشبعة بإيقاع هادئ وتأملات فلسفية، هل أنت ممن يرى أن الشعر يجب أن يُهمس لا أن يُصرخ؟

■ في هذه المرحلة الزمنية انتقلت القصيدة إلى فضاء فكري، وابتعدت بهذا القدر أو ذاك عن فضائها الغنائي، وهذه الانتقالة نسبية، حتى عند الشاعر الواحد. وصار الشاعر، يفكر أكثر مما يغني، بل حتى حين يغني، لا يبتعد عن المعطيات الفكرية ولا يتخلى عنها، لذا شاعت ما يطلق عليه قصيدة النثر وانتشرت، لأنها تفتح للقصيدة مجال الفكر، وأقصد هنا، هذه القصيدة في نماذجها الشعرية وليس في هذا السونامي من اللغو الإنشائي.

وفي قصيدة التفعيلة تتراجع التفعيلات ذات الإيقاع السريع والموسيقى ذات الرنين العالي، وتحل محلها التفعيلات الهادئة، مثل تفعيلات "المتقارب" و"المتدارك" لأنها غير بعيدة عن إيقاعات النثر.

بات التقارب إيقاعيا بين قصيدة التفعيلات البطيئة وقصيدة النثر، واضحا. وحين كثرت في شعري تفعيلتا المتقارب والمتدارك، أو تداخلهما أحيانا، تراجعت تفعيلات الهزج والرمل، ولم يحدث كل هذا عن قصد، بل لأن التفعيلات البطيئة تمنح قصيدتي مجالا للتأمل والتفكير، بل صرت أتجاوز أحيانا التفعيلات العروضية، رغم معرفتي بالعروض وضروبه وإيقاعاته، وأكتب قصيدتي بالإيقاع الذي يوفر لها فضاءً موسيقيا خاصا، حيث تتوحد فيه الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية. وهذه المحاولة دفعت بعضهم إلى وصفها بالتجاوزات العروضية، بينما انتبه إليها من هم على معرفة بالعروض، وعدها محاولة جمالية لإثراء موسيقى القصيدة وتوحيد موضوعاتها بإيقاعاتها.

● العرب: كيف تنظر إلى العلاقة بين الشكل والمعنى؟ وهل تؤمن بأن "قصيدة الوزن" ما زالت قادرة على التجديد؟

■ في موضوعة العلاقة بين الشكل والمعنى، يقول "لا أظن أنها علاقة ثابتة ومحددة، وكأنها اشتراطات لا يتم تجاوزها، فالقصيدة تنمو كما الكائن الحي ويتكامل شكلها، بتكامل موضوعها، وتتحرك إيقاعاتها، مع حركة تكامل الشكل.

أما قصيدة الشطرين فهي الأخرى تمر بالمراحل التي تمر بها أشكال القصيدة الأخرى، ويكون الفرق واضحا بين الشكل العروضي في ثباته، والإيقاعات في البنية الموسيقية للتفعيلات العروضية، وفي هذا الفرق بين ثبات الشكل العروضي ومتغير الإيقاعات، يكون التجديد، ويرافق التجديد، حيوية المعجم الشعري ومتغيراته وإضافاته، وهذه الحيوية في المعجم الشعري، تظهر بوضوح في قصيدة الشطرين."

● العرب: هل هناك لغة شعرية مثالية أم أن لكل لحظة، لكل قصيدة، لغتها التي تفرض نفسها؟

■ يمكن أن نفترض لغة شعرية لها جمالياتها، وطالما تحررت من ثقل المعجم، في اللفظ وفي الكتابة، وهذه اللغة، ليس من الضرورة أن تنفرد بها القصيدة، فقد تكون لغة نصوص أخرى غير الشعر. ومن أهم صفات هذه اللغة، أنها تتحرك على كامل مساحة المعجم اللغوي حتى في متغيراته التاريخية، وتلتقط من المفردات ما هو مناسب لجمالية النص، وتجدد استعمال بعض المفردات التي انحسرت عن التداول الشفهي وعن الكتابة. كما تغني اللغة بصياغات جديدة، إما أن تكون قد اندثرت وغابت، أو أنها صياغات مبتكرة تناسب العصر وتحولاته المعرفية والاجتماعية.

كما لكل موضوع ما يناسبه من التعبير اللغوي، فمن الطبيعي أن تكون للشعر لغته، ولكل قصيدة لغتها التي تناسب موضوعها وزمنها. لذا عرفنا على امتداد التاريخ الشعري، أن لكل عصر ما يميز لغته الشعرية ولكل شاعر سمات لغوية خاصة ينفرد بها حينا، ويشارك مجايليه من الشعراء فيها، حينا آخر، فالمتغيرات الحضارية والمستجدات الثقافية، لا بد أن تترك أثرها على اللغة، بنىً ومعجما.

● العرب: تعتبر بغداد مركزا متكررا في شعرك. هل بغداد عندك مكان أم رمز؟ وهل تغيّرت صورتها في شعرك بعد الغربة؟

■ بغداد تعد مكانا ورمزا في آن واحد، بغداد المكان والرمز، ليس في شعري فقط، بل في الواقع، في التاريخ وفي الحاضر. صحيح إن حاضرها لم يكن بمستوى ذرى تاريخها، لكن هذا الحاضر بكل ما فيه، لم يجردها من ألقها ومن حضورها وأثرها في التاريخ وفي المعرفة الإنسانية، ولو ذكرنا الآن أي نشاط معرفي وأي إنجاز حققه، ستكون بغداد حاضرة بما حققته في هذا النشاط، والتأثير في هذا الذي تحقق في الدرس الفلسفي وفي الفقه والتصوف والشعر والكتابة والموسيقى والرسم والعمارة وغيرها من فروع المعرفة.

بغداد في حياتي، قبل أن تكون في قصيدتي، هي المنارة والدليل، وهذا القول ليس من باب التعصب، بل من باب الوعي الموضوعي العميق. لذا حين أكتب لا أستدعيها ولا أقتحمها في شواخصها وفي مصادرها، بل هي التي تأتي بكل عنفوانها وتشاركني في ما أكتب. لذا تراني أعشقها، مكانا ورمزا، ودرسا بدأ وما انتهى ولن ينتهي. ولم أبالغ حين قلت: حين أفتح عيني صباحا، أراها، وأسمع غناء بلابلها، لذا لم أغترب عنها، فهي معي دائما، نستعيد معا، كل الذي كان وننتظر معا ما سيأتي. لا أخاف عليها، لكنني أخاف أن أموت ولا تشاركني لحظاتي الأخيرة.

حنين إلى بغداد

● العرب: كيف تصوغ علاقتك بتاريخ بغداد الثقافي؟ وهل تحمل القصيدة عندك حنينا أم نقدا لهذا التاريخ؟

■ لماذا يحاول هذا السؤال تحديد علاقتي بتاريخ بغداد في حالين؟ تاريخ بغداد يحمل من العطاء والجمال والمجد ما يدفع إلى الحنين، كما يحمل من أسباب النقد ما يمكن أن يُنقد، شأنها في ذلك شأن كل المدن العريقة.

لكنني لم أجد نفسي في خانة الناقدين، مع أنني أمارس النقد أحيانا، ولا في خانة الحنين، وفي تاريخ بغداد الثقافي وغير الثقافي ما يستحق الحنين، والحنين عندي هو الاستحضار والتمثل، والفخر أحيانا. كيف لي وأنا من عشاقها لا أستحضر فلاسفتها ومتصوفتها وفقهاءها وشعراءها وموسيقييها، بل كيف لي أن لا أستذكر شطارها وعياريها وفتيانها.

في هذا الاستحضار وهذا الحنين، ما تعلمنا منه، بل ما تعلم العالم منه. وقصيدتي التي تتمثل تاريخ بغداد وتستحضره، لا تتشكل خارج ذلك التاريخ ولا ترتبط به بعواطف ساذجة، بل هي بعض منه وإضافة إليه. وعلى امتداد تجربتي الشعرية كانت بغداد حاضرة في قصائدي، وكل الذين استحضرتهم فيها من رموز، كنت أحس بالقرب منهم وكأنني واحد منهم، فكبير العيارين أبو يعلى الموصلي كأنه من أصحابي، والصوفي بشر الحافي، كأنني ما فارقت مجلسه، والشاعر علي بن الجهم الذي تبغدد وهو القادم من جغرافية بدوية، فأصبح أمثولة للتحضر البغدادي، حاضر في الكثير مما كتبت عن بغداد. وحين أعرج على بيت الحكمة، أكون واحدا من المفكرين العاملين في أروقتها. لذا لا أستحضر تاريخ بغداد، بل أعيشه وأشارك في أحداثه وتحولاته.

● العرب: هل للمدينة دور في تشكيل وعي الشاعر؟ كيف تفاعلت قصيدتك مع تحوّلات بغداد السياسية والوجودية؟

■ ولدت ونشأت في مدينة عريقة، هي مدينة الحلة القريبة من مدينة بابل الأثرية، وهي التي أسسها المزيديون الذين عرفوا باهتماماتهم الثقافية. والمجتمع الحلي، عرف بنزعته الحضارية، حيث تعددت المدارس كما تعددت المكتبات وكثر النشاط الثقافي. وقد أدركت هذا المجتمع وشاركت في نشاطاته مبكرا، وانتقلت إلى بغداد في مرحلة الدراسة الجامعية وشهدت كل التحولات التي عرفتها بغداد وشاركت فيها، إذ كنت قد انغمرت في النشاط السياسي مبكرا.

كنت خلال مرحلة الدراسة الجامعية من الناشطين في الحركة الطلابية ومن قياداتها. وفي بغداد سواء في المحيط الجامعي أم في التجمعات والجمعيات الثقافية كانت الحوارات تفتح لنا أفقا معرفيا أفدنا منه كثيرا، واقتربنا من الصحافة الأدبية وشاركنا فيها ونشرنا كتاباتنا الأولى على صفحاتها. كانت المقاهي، المكان الحيوي، للقاءاتنا وحواراتنا وتبادل الخبرات والمعارف، ولم تكن تلك المقاهي مكانا للغو والعبث، بل كانت مصدرا من مصادر المعرفة التي تأتي كما أشرت إلى ذلك من قبل، بالحوارات الجادة وتبادل الكتب والدوريات.

أعترف بأن هذا المحيط الثقافي المجدد والمتفتح الذي أتاحته لي إقامتي ببغداد هو الذي أفادني في تجديد قصيدتي، مع أنني بدأت نزعتي في التجديد بمدينة الحلة، قبل انتقالي إلى بغداد وإقامتي فيها، ومشاركتي في حياتها الثقافية. ومما عمق وعينا ووسع المدى الثقافي لتجاربنا الشعرية، ما كنا نخوضه من نشاطات ذات طابع سياسي اقترنت بحوارات، وضعتنا في مواجهة أسئلة هي الأخرى أغنت قصيدتي.

الأماكن وجيل الستينات

● العرب: كيف أثّر المنفى في نبرة صوتك الشعري؟ هل أضاف نضجا تأمليا أم ألقى بثقل الحنين؟

■ لقد عشت بعيدا عن بيتي وعن المكان الذي نشأت فيه، أكثر من مرة، الأولى وأنا في مطلع العشرينات من العمر، حيث فرضت علي الإقامة الجبرية في مدينة السليمانية بكردستان العراق، وفيها كتبت قصيدتي الأولى بعنوان 'الجليد' المنشورة في مجموعتي الشعرية الأولى "شواطئ لم تعرف الدفء" 1968. وهذه القصيدة تناولت فيها تجربة الإقامة بعيدا عن بيتي وعن المكان الذي نشأت فيه وكانت بداية مهمة لفتت إليها الأنظار. ثم كانت أعوام السبعينات من القرن الماضي، حيث أقمت في مدريد التي منحتني تجربة استثنائية، وعرفت قصيدتي بتأثرها بها في تحولها الأول.

بعدها أقمت في الرباط، وأفدت من ثقافة المحيط المغربي، وظهر هذا التأثير واضحا على قصيدتي. أما إقامتي الأخيرة في عمّان التي اضطررت إليها بعد احتلال بغداد سنة 2003، واستمرت حتى يومنا هذا، فلم تكن منفى، بل هي خيار للإقامة في مكان أنا الذي اخترته، واقترن بعزلة أنا الذي اخترتها أيضا. غير أن عمان (المكان) والعزلة الشخصية، تحولا إلى تجربة حياتية مهمة، أتاحت لي المراجعة والتأمل والتحرر من بعض الثوابت، وصرت أنظر إلى الأشياء، مكانا وأحداثا وأفكارا، نظرة نقدية، كان تأثيرها على قصيدتي واضحا، وظهر هذا التأثير في موضوعاتها ومعجمها وإيقاعها.

ما كتبت من شعر خلال إقامتي في عمان حتى الآن، بلغ ست مجموعات شعرية، لكل منها موضوعاتها، إن لم أقل موضوعها، ولكل منها ما يميزها عن سواها من هذه المجموعات الست، لكن طبيعة التجربة التي عشتها وأعيشها في عمّان، جعلت من المجموعات الشعرية الست، مرحلة إبداعية، تختلف عما سبقها وتشكل إضافة إلى تجربتي الشعرية.

● العرب: كثيرون كتبوا عن المنفى بوصفه فقدا، لكنك تكتب عنه كحضور شعري، كيف تفسّر هذا التحوّل؟

■ المنفى هو المنفى، وليس فيه ما هو أقسى، وما هو أقل قسوة. أما أنا فحيث أكون يكون معي وطني. فليس المواطن من يسكن في وطنه، بل هو الذي يسكنه وطنه، وعلاقتي بوطني متوازنة لم أغضب منه ولن أغضب، وأنا على يقين أن وطني لم يغضب علي ولن يغضب. إن الذين كانوا سببا في أن أقيم بعيدا عن وطني جغرافيا، وليس فكريا، لا يمثلون وطني، بل هم من قبيل الأعداء. والذين يرصدون ويتابعون ما تعرض له، سيتأكدون أنهم من أسوأ أعدائه ومن أكثرهم إساءة له وضررا.

> عمان والعزلة الشخصية تحولا إلى تجربة حياتية مهمة أتاحت لسعيد المراجعة والتأمل والتحرر من بعض الثوابت

● العرب: كنت من الأصوات البارزة في جيل الستينات العراقي، كيف كانت تلك اللحظة الشعرية؟ وهل كنت تراها تمرّدا على منطق القصيدة السائد؟

■ تجربتي مع جيل الستينات في العراق، تختلف عن الآخرين، لقد كتبت الشعر في ذلك العقد الزمني، وكنت مثل رموز ذلك الجيل، قد قرأت شعر الرواد ولفت نظري بينهم شعر السياب، والتقيت بالستينيين وحاورتهم، اختلفت مع بعضهم ووافقت آخرين، وفي تاريخ الأدب حسبت عليهم وما زلت أحسب عليهم.

لقد كان كثيرون من رموز ذلك الجيل يصدرون في مواقفهم عن فكرة، إن جيل الرواد قد توقف وانتهى، وما عاد بإمكان شعرائه كتابة نص شعري جديد. ولأنني كنت سياببا، إذ قادني إلى فضاء الحداثة والقصيدة الجديدة ما قرأت من شعر السياب، فقد كنت أعد قصيدتي امتدادا لتجربة السياب وجيل الرواد. لذا، ما يمكن أن نعده إضافة إلى قصيدة الرواد في شعري كان مجرد جهد شخصي، ولم أكن كغيري من الستينيين، تدخل قصيدتي، في متغيراتها وإضافاتها ضمن حركة عامة. لذا لم أحرص يوما على أن أعد ضمن الستينيين وما تبنيت أطروحاتهم أو دافعت عنها، لكنني لم أنفصل عنهم ولم أختلف معهم، إلا في حالات فردية.

وكما أشرت من قبل، فإن كل ما ذكرت من معلومات بشأن علاقتي بجيل الستينات، لم يغير من حقيقة أن تاريخ الأدب قد حسبني على جيل الستينات.

أما أن أحسب، أن قصيدتي من قبيل التمرد على الواقع الشعري، فهذا لم أفكر به وما خطر ببالي، بل كنت أحاول أن أكتب قصيدتي، لا أن أكرر قصيدة الآخرين.

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

مكتبة «تاليا» في فيينا.. مرآة لا يرى فيها العرب أنفسهم

المكتبة مساحة مجانية للكرامة الفكرية ونموذج لمجتمع يقرأ وآخر يركض خلف الظل

تزخر المدن الأوروبية الكبرى بالعديد من المعالم الثقافية الهامة على غرار المكتبات التي تمثل رموزا للنهضة الأوروبية، وما يلفت الانتباه هو الحضور الكبير لكل الجنسيات لهذه المعالم والصروح الثقافية العريقة، وفي المقابل شبه غياب للعرب، رغم تواجدهم بنسب هامة في مختلف أنحاء أوروبا، وهذا هو الحال في مكتبة "تاليا" في فيينا.

نداء مكتوب بحبر الأمل: اقرأ لتعد

لماذا لا يدخل العرب هذا المكان

محاولة صادقة لأنسنة المدينة

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

في قلب شارع "ماريا هيلفر"، ذي الصدى الذي لا يخفت بين أروقة مدينة فيينا، تقف مكتبة "تاليا" كصرح ثقافي لا يشبه غيره. ليست مجرد متجر للكتب، بل هي أشبه بتحفة فنية تنبض بالحياة، تنادي عابري السبيل أن يتوقفوا قليلا.. أن يصغوا لهمس الصفحات، ويستنشقوا عطر الورق المحمل بتاريخ الأفكار، ودفء الحبر المتعانق مع الفكر الإنساني.

تجديد شامل طال أركان هذه المكتبة على مدى ستة أشهر، عانقت فيه الحداثة رقي التصميم، ليولد فضاء معرفي عصري، متعدد الطوابق، غني بتفاصيله التي تسر الناظر وتثري القارئ. عناوين متجددة، ودوريات متنوعة، وأدوات قرطاسية أنيقة، وقسم مخصص للرسم يشبه معارض الفن أكثر مما يشبه متجرا.. وحتى المقهى، في طابقها الأول، يتيح لحظات تأمل صامتة في حضرة الكلمات.

> المكتبة التي تشغل مساحة واسعة تتوزع على أربعة طوابق، تدهشك بتنوعها وأناقتها، وتأسرك منذ الخطوة الأولى

ورغم هذا الغنى البصري والمعرفي، يبقى ما يوجع حقا هو الغياب.. غياب الوجه العربي. فمن النادر أن تلمح عربيا يتصفح كتابا أو يتأمل غلافا أو يتوقف عند رف المجلات.

هذا الغياب لا ينبع من ترف الوقت أو غياب اللغة فحسب، بل من ابتعاد مؤسف عن جوهر المعرفة، عن تلك الرحلة الإنسانية التي تجعل من القارئ أكثر فهما لذاته وللعالم من حوله. وكأن هاجس الرزق اليومي قد طغى على هاجس الوعي، وكأن السعي وراء المال بات يختزل طموح الإنسان، ويجعل من "الكتاب" مجرد أثاث فكري لا يليق بالمستعجل، أو رفاهية لا يملكها المهموم بلقمة العيش.

هوية في خطر

"تاليا"، ليست مجرد مكتبة، بل محاولة صادقة لأنسنة المدينة، أن تذكّر الزائر أن الحياة ليست محصورة في الأسواق والماركات والمقاهي الصاخبة. إنها مساحة تدعونا - نحن العرب خصوصا - أن نعيد النظر في أولوياتنا، أن نشعل في أبنائنا شغف المطالعة، أن نذيب الحواجز بيننا وبين اللغة والمعرفة، وأن نستعيد يقينا بدأ يخبو: أن الأمم لا تبنى بالحجارة فقط، بل بالكلمات أيضا.

فلعلها دعوة مفتوحة لكل شاب عربي يقطن هذه المدينة أو يمر بها.. أن يمنح لنفسه ساعة في حضرة الكتب، أن يدخل "تاليا" لا متسوقا بل قارئا، لا غريبا بل ابنا للمعرفة. فربما كانت الصفحات المصفوفة على رفوفها، هي الجسر الذي يقوده إلى فهم أعمق لذاته، وارتباط أصدق بجذوره، وانفتاح أكثر وعيا على العالم من حوله.

في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة فيينا، تنبسط فسحة من الزمن والمعمار، اسمها شارع "ماريا هيلفر"، أحد أشهر شرايين الحياة في العاصمة النمساوية. شارع يعج بالحركة، تلتقي فيه وجوه السياح بأرواح السكان المحليين، حيث تتجاور المتاجر الراقية، والمقاهي النابضة، والفنادق التي تتعدى المئات، قديمها يروي عبق الماضي، وحديثها يعكس حداثة الحاضر.

وعلى امتداد هذا الشارع، الذي يعد من أبرز وجهات التسوق في المدينة، ينهض صرح ثقافي بكل ما للكلمة من امتداد: مكتبة "تاليا"، تلك التي لا تكتفي بأن تكون مكانا لبيع الكتب، بل تشبه معبدا صغيرا للمعرفة، مقاما في قلب عالم استهلاكي صاخب، كأنها تقول لنا: لا زال هناك متسع للتأمل، ولا زال للكلمة مكان تحت الشمس.

المكتبة التي تشغل مساحة واسعة، تتوزع على أربعة طوابق، تدهشك بتنوعها وأناقتها، وتأسرك منذ الخطوة الأولى برائحة الورق المصقول، وغزارة ما تحتويه من كتب ومجلات وصحف، تتجاوز عناوينها الخمسمئة، ما بين علم وفن، سياسة وأدب، موسيقى وطبخ، تصوير ورسم.. كل ما يمكن أن يحتاجه القارئ، وحتى المتأمل العابر.

وفي الطابق الأرضي، تجد كل ما يخطر في بال كل طالب علم: أدوات قرطاسية، أجندات فاخرة، حقائب أنيقة، وأشرطة موسيقية وسينمائية تتراوح بين الكلاسيكي والحديث. أما الطابق الأول، فهناك استراحة ومقهى، صمّما كأنهما دعوة للاستبطان، للقراءة الهادئة على مهل، في جو يشبه الخلوة الفكرية أكثر من كونه فضاء تجاريا.

غير أن ما يلفت، لا في زينة المكان ولا في ازدحامه، بل في صمت مؤلم ينسدل بين الرفوف، غياب العربي عن هذا المشهد. هو غياب لا تبرّره اللغة، ولا تعفيه المسافة. فالمكتبة تفتح أبوابها بالمجان، وتتيح للزائر أن يتصفح، يقرأ، يتأمل، بلا قيد أو تكلفة. ومع ذلك، قلما ترى عربيا بين روادها. حتى من أولئك الذين مضى على إقامتهم في النمسا أعوام، أو من أبناء الخليج الذين اعتادوا زيارة فيينا في عطلهم، وجوههم لا تعكس شغف القراءة، بل تمر كأن المعرفة سلعة لا تغري، أو ترف لا يرتجى.

وهنا تتبدى المعضلة بشكلها العميق: غياب العربي عن فضاءات الثقافة، لا يعبّر عن قلة وقت أو مال، بل عن اختلال في الأولويات، عن مجتمعات باتت تدرب أبناءها على اللهاث لا التأمل، وعلى الاستهلاك لا الإدراك.

أمام هذا المشهد، نوجه نداء حارا، لا لتجميل الواقع، بل لكسّر جدرانه: أيها الشباب العرب في فيينا، لا تهجروا المكتبة. اجعلوا لها مكانا في شهركم، كما تجعلون للمقهى والشارع والمول. وإن ضاقت عليكم اللغة، فلتكن الزيارة في ذاتها فعل اعتراف بالحاجة إلى المعرفة، ومحاولة لتعلم شيء جديد. ليس من الضروري أن تفهم كل سطر، ولكن أن تقترب من الفكرة، من الكتاب، من ذاتك. فالكتاب ليس مرآة للأحرف فقط بل مرآة للهوية، ونافذة لفهم العالم، ومفتاح لتجاوز الاغتراب الحقيقي الذي لا تصنعه الجغرافيا، بل الجهل.

لعل من يطالع هذه السطور يدرك أن زيارة مكتبة، مهما بدت بسيطة، قد تكون البداية لتغيير عميق. إذ لا نهضة بلا قراءة، ولا وعي بلا معرفة، ولا مستقبل لمن لا ينصت لما تقوله الكتب في صمتها العميق.

صرخة في «تاليا»

في مكتبة "تاليا"، لا تصافح عيناك الكتب فحسب، بل تلمس روحك عالما متسعا من الألوان والأفكار، كأنك تدخل حضرة فكرية، يطيب فيها للوجدان أن يستريح، وللعقل أن يرحل، لا إلى مكان، بل إلى معنى.

هناك، بين رفوف المجلات الحديثة، يتفتح أمامك مشهد ثقافي مدهش: رياضة، سياسة، فنون، ثقافة، وعلوم لا يحدها خيال، من آخر صرخات السيارات الذكية، إلى رحلات الفلك، وعجائب التصوير، وسحر الموسيقى.. ثم إلى الصحف اليومية، تلك التي لا تنقل أخبارا فحسب، بل تحمل وجع الناس، وأصواتهم، وأسئلتهم، وتوثق نبض هذا الكوكب القلق.

وفي هذه المكتبة - التي لا تفرّق بين زائر وزائر، ولا تسأل عن لغة أو لون أو وطن - يمكنك أن تختار ما تشاء، وتغتني بما تحب، دون أن تدفع فلسا. إنها مساحة مجانية للكرامة الفكرية، ومتنفس لروح ما عادت تعرف كيف تصغي في هذا العالم المتسارع.

ولكن كم هو مؤلم أن نلاحظ غياب العرب عن هذا الفضاء، عن هذا النبض، عن هذه الوليمة المعرفية التي وجدت لأجله أيضا، لا بوصفه لاجئا أو مهاجرا، بل إنسانا، له الحق الكامل في الوعي، والإدراك، والنهوض.

للأسف، وكما تشهد عيوننا قبل حروفنا، يندر أن نرى أبناء لغة الضاد بين تلك الرفوف، بين تلك الصفحات التي تنتظر من يقلبها لا ليمضي الوقت، بل ليصنع المعنى.

أين أنتم يا من جئتم إلى هذه البلاد بحثا عن أمان وكرامة؟ أليس من الكرامة أن تطعموا عقولكم كما تسعون لإطعام أجسادكم؟ أليس من الوفاء أن تقابلوا من احتضنكم بالرغبة في النمو، لا بمجرد الركض وراء المال؟ إن العلم ليس ترفا، بل خلاص، ولا يوجد وقت أنسب للارتواء من هذه الفرصة الثمينة المتاحة أمامكم مجانا، بوفرة مذهلة، بلا شرط أو قيد.

> في مكتبة «تاليا» لا تصافح عيناك الكتب فحسب بل تلمس روحك عالما متسعا ومفتوحا من الألوان والأفكار والثقافات

ابتعدوا عن فوضى التسلية الزائفة في زوايا مواقع التواصل، وتوقفوا عن صراخ الادعاء، ومهاترات "الإبداع المزيف". تلك المنشورات التي تظنونها فكاهة أو تميزا، ما هي إلا صدى فراغ ينعكس عليكم قبل أن يصيب غيركم. النشر لا يصنع كاتبا، كما أن الصوت العالي لا ينتج فكرة. عودوا إلى حيث البداية، إلى الكتاب، إلى المجلة، إلى الصحيفة.

هناك فقط، تصاغ الهوية من جديد، وتصقل الروح، وتنقّى اللغة. هناك فقط، يبنى الإنسان الذي لا يحركه المال، بل يدفعه الحلم.

فيينا، التي أنجبت فرويد واحتضنت موزارت وفتحت ذراعيها لفلسفة فيتغنشتاين، لا تزال تحتفظ بهيبتها كمكان ينتصر للفكر. و"تاليا" هي أحد تجليات هذا الانتصار. لكنها في مرآة الغياب العربي، تكشف هشاشتنا. نحن، القادمون من مدن أنهكتها الحروب والانقلابات، نبدو كأننا لا نزال نحمل رفاة القراءة معنا بدل أن نحمل شغفها.

ربما لم يعلّمنا اللجوء سوى الحذر، وربما جعلنا التغرّب نعتقد أن المعرفة رفاهية. لكن الحقيقة أقسى: نحن ابتعدنا عن الكتاب حتى نسينا لغته، نسينا كيف نصغي لحكمته، وكيف ننصت لصوت الكاتب كما لو كان يكلمنا نحن وحدنا.

ليس في "تاليا" مناد باللغة العربية، ولا رفوف تهمس بأسماء نزار قباني أو جبرا إبراهيم جبرا أو محمود درويش. لكن الكتب هناك، صامتة، تنتظر. تنتظر من يجرؤ على كسر الغربة، من يقول "سأدخل، سأقرأ، ولو لم أفهم." لأن البداية في الفهم لا تكون بالمعرفة الكاملة، بل بالرغبة فيها.

نداء إلى الذات

نداء إلى الشباب العربي في فيينا: لا تجعلوا من الغربة ذريعة للانغلاق. لا تستبدلوا الركض نحو المال بالهروب من الفكر. "تاليا" ليست فقط مكتبة، إنها فرصة. دخولها ليس نزهة في الطابق الأول، بل عودة إلى الذات. وإن كانت الكتب ألمانية، ففيها ما يضيء، وما يحفّز، وما يصالحك مع نفسك. اقرأ، وإن لم تفهم. زرها، وإن لم تشتر. انظر في عيون الآخرين، كيف يقرؤون، وافهم لماذا صاروا هم متقدمين، ونحن بقينا عالقين في أرشيف الحنين.

إن كانت المكتبات مرايا الأمم، فإن "تاليا" تعكس وجهين: وجه أوروبا المتصالحة مع كتابها، ووجه عربي تائه، يبحث عن ذاته في الممرات الخلفية. لكن المكتبة لا تحكم على أحد، ولا تغلق أبوابها. هي هناك، تفتح ذراعيها كل يوم، من الصباح حتى المساء، بلا مقابل، بلا شروط. هي، ببساطة، نداء مكتوب بحبر الأمل: اقرأ... لتعد. إلى الشباب العرب في فيينا، ممن ظنوا أن الثقافة خيار هامشي، وأن الوعي مؤجل: تعالوا إلى مكتبة "تاليا"، لا لتشتروا، بل لتقرأوا، لا لتلتقطوا الصور، بل لتلتقطوا أنفسكم في مرآة المعرفة. أدركوا أن بين دفتي كتاب، قد تختبئ إجابة عمر، وقد تنمو فكرة تبدل مصيرا.

إن هذه اللحظة، حيث يتاح لكم كل شيء، مجانا، بهدوء، بكرامة، هي لحظة تستحق أن تعاش، وأن تستثمر، قبل أن تفقد. فليس الجهل هو عدم المعرفة، بل الرغبة المستمرة في الهروب منها.

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

نبش في خبايا نساء المغرب العربي

تجسيد ثابت للأرض والحياة وفكرة العيش

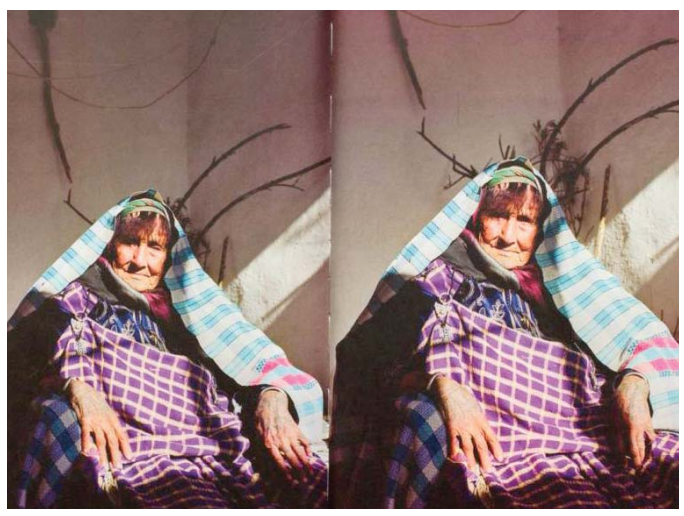

تدفع المتلقي إلى تأمل من نوع آخر

«عائشة».. ذاكرة حسية وعاطفة لنساء شوهن المستشرقون

يُمنى العرشي يمنية تتنقل بين جغرافيا تونس والجزائر والمغرب لتجمع وشوم النساء

في مناخ الاستشراق صوّر الفوتوغرافيون ومن قبلهم الرسامون المرأة العربية والأمازيغية بطرق فيها الكثير من التنميط والمبالغات التي لم تسع إلى التحاور البصري مع هؤلاء النسوة بقدر ما سعت إلى تنميطهن، ومازال هذا التنميط مستمرا إلى اليوم، وهو ما دعا الفنانة يمنى العرشي إلى محاولة تقديم رواية أخرى، لا تسعى إلى التوثيق لهؤلاء النسوة بل إلى منحهن مساحة.

بشرى بن فاطمة
كاتبة باحثة تونسية اختصاص فنون بصرية

منذ مايو الماضي وحتى نهاية شهر يوليو القادم، يفتح مركز B7L9 للفنون بتونس العاصمة الطابق الثالث من فضائه على ذاكرة منسابة من الصور والتصورات المليئة بالحركة والحياة، وبالتفاصيل والأنوثة والرموز، وبشعر مرئي يستعيد كثافة الحضور الأنثوي في الأرض، تقدمها لأول مرة في تونس الفنانة الفوتوغرافية صانعة الأفلام، السينمائية مُتعددة الانتماء كثيفة الهوية، اليمنية – المصرية – الأميركية المقيمة في زيوريخ يُمنى العرشي.

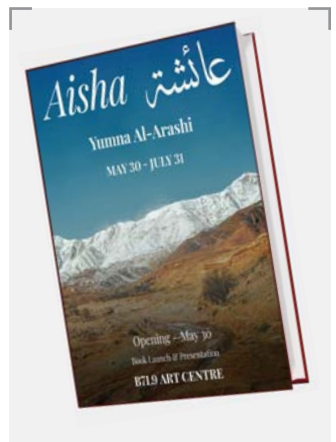

«عائشة» أول كتاب للفنانة يمنى العرشي اعتبرته تكريما لجدتها ولهويتها العابرة للحدود الجغرافية والزمنية عبر الأجيال

معرض "عائشة" الذي شهد أيضا توقيع كتابها الأول بعنوان "عائشة" وهو تكريم حسي وجمالي، وبحث فني في تفصيل الانعكاس الحسي والمقاومة الفنية والهوية الإنسانية التي سعت العرشي لتقدمها وتعبّر عنها صورا وحروفا وكلمات وقصائد، متواصلة مع تلك النساء اللاتي انعكسن على صورة جدتها "عائشة" التي حملت وشمها مثل ذاكرة وحضور وتميز وتفاعل داخل المجموعة المجتمعة على فكرة المرأة وما يحيطها من تناقضات في المجتمعات الشرقية.

عائشة.. معرض وكتاب

"عائشة"، أول كتاب للفنانة يمنى العرشي اعتبرته تكريما لجدتها ولهويتها العابرة للحدود الجغرافية والزمنية عبر الأجيال، هو تكريم للنساء كما تقول العرشي "النساء اللاتي ينعكس عليهن الوطن طبيعة مجتمعا جغرافيا عادات، تمسكا بالهوية وانتصارا لها،" من اليمن إلى نساء المغرب العربي وعبورا من تونس إلى الجزائر ثم المغرب وطيلة ثلاث سنوات انشغلت واشتغلت العرشي على مفهوم الهوية من خلال المرأة وتحديدا "الوشم" وشمها في مفهوم بقائها أو وجودها، المرأة التي تحمل كيانها من أرضها عربية أمازيغية بدوية تارقية، أعادت اكتمالاتها وحملت صورتها أبعد.

تقول العرشي "هذا الكتاب ليس دراسة أنثروبولوجية ولا بحثا إثنيا ولا تفصيل مقارنات اجتماعية، ولا يشبه كاميرا المستشرقين التي لعبت بالفكرة في سطحية طافحة بالتحكم والأحكام المسبقة، إنه فعل فني وذاكرة حسية وعاطفة بصرية لكل النساء اللاتي سردن قصصهن واكتملن في السرد بتلقائية."

وتضيف "عائشة هي الصورة والحكاية، هي القصيدة والأغنية هي التجسيد الثابت للأرض للحياة لفكرة العيش، وضرورة ثباته، وجدتها في فضاء المغرب العربي لأني لم أتمكن من العودة إلى اليمن سافرت بين جغرافيا تونس والجزائر والمغرب لأستقر على فكرة المرأة الوطن الكبير لامست عالما من جمال في ضحكات النساء في عيونهن وما تخفي من قصص بين قهر وتحكم وبين إرادة وانتصار، بين خجل وتجاوز حركاتهن في حكاياتهن في ثقتهن وفرحهن رغما عن أيّ شيء وعن كل شيء."

في الكتاب كما في المعرض تحمل النساء عالما من تأمل من ثقة وقوة ورقة وانسياب وحنين واستمرارية صلابة ونعومة خفة وثقل بين صور غنية بشكل غير مُتعود، فالعرشي لم تقف عند تثبيت النساء على كادر الصورة بل كانت تسمح لهن بالحركة بالتلقائية بالتفاعل العفوي المستقطع بين الحكايات والضحكات والتداخل والانسياب معها حتى في تواصلها الحواري، وهو ما بدا في الصور في الأريحية في التفاعل.

لقد ألهم الدافع الحسي المتفاعل مع النساء وقصصهن يمنى العرشي لتكثيف الصورة بالحرف كتقاطع داخلي بين الكتابة والحركة وهي تستحضر جدتها في عبق الكلام وسحر الانفعال النوستالجي بموزاييك بصري شعوري يستحضر رائحة العود كما تقول "كانت عائشة تترك أثرا ساحرا بعطر عودها أينما هبت في المنزل."

في الكتاب أيضا تطرح العرشي الأرشيفات الاستعمارية والاستشراقية التي رافقت الفكر الاستعماري، إذ بحثت فيها وانطلقت منها ولكنها أحستها سطحية أو لقطات صور مقصودة وليست تلقائية، لأنها عكست فكر احتلال يبحث عن المبالغة في وصف التخلف الذي لم ينصف المرأة.

عبر ثلاث سنوات من التنقل والمصادفات لنساء من مختلف مناطق المغرب العربي حملت العرشي فكرة الوشم كمفهوم ثابت البقاء ترسّخت في الصور التي احتواها المعرض، وهي تدفع المتلقي لتأمل من نوع آخر خاصة المتلقي التونسي الذي يندفع باحثا عن الحكايا من كاميرا العرشي، فالعين تغوص أبعد في اقتناص الأشياء التي رأتها وأحستها تسربت من الفنانة حتى يعيد قراءتها المتلقي بعينها، التي نسخت صورة جدتها ووشمها على كل امرأة صادفتها وتواصلت معها، وحاكت تفاصيل الزمن الذي عبر من تلك الثنايا التي تجعدت وتحولت على حبر حفري يثبت جدارة الحضور وانعكاس الوقع على الواقع في تفاصيل الحياة التي اكتملت في ملبسها وانتمائها.

من جبال تونس وجنوبها إلى جبال الأطلس وصحراء الجزائر اقتفت العرشي آثار الأمومة والأنوثة والحياة التي تجلت في النساء والتي برأيها اتسمت بالصمت والصمود.

الكتاب احتوى على 392 صفحة منها 320 صورة فوتوغرافية ملونة مرفقة بقصائد وحكايات.

خارطة الذاكرة والانتماء

من خلال مفهوم الوشم وعلاقته بالمرأة في مجتمعها الترابي حاولت العرشي سواء في الصور المعروضة أو في الكتاب، أن تعيد قراءة النساء في تفصيل ذلك الوشم، وكيف يتعاملن معه. واجهت الفنانة فراغ المعنى في الأرشيف الاستعماري القديم الذي نبشت فيه ولم تقتنع به، لذا حاولت أن تعيد ترميم الذاكرة من خلال بحثها وكتابها، ومن خلال المعرض فقد حاولت ببساطة إعادة اكتشاف الفكرة من الوشم لإنشاء أرشيف أكثر أصالة يعالج الفجوة بين أجيال جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا وأرشيفاتهم العائلية وصور جداتهم، إنها تقدم رسائل لحفظ الذاكرة واحتواء الأرشيف.

الانطباع الأول الذي ينتاب زائر المعرض ومتصفح الكتاب "عائشة" هو اختلافه الحسي في فكرة التعامل البصري مع الصورة لا كفكرة جامدة بل كأثر باق ولذة صامتة، وربما كما عبر رولان بارت يقف تأمل الرؤية وحيرة الرائي أمام المرئي وفق تنظير حسي وعاطفي وقراءة ما ورائية قادرة على التقمص الداخلي لتلك التفاصيل الجامدة والحيوية في نفس الوقت. صور الكتاب

الوشوم ذاكرة وحضور

عبر ثلاث سنوات من التنقل والمصادفات لنساء من مختلف مناطق المغرب العربي حملت العرشي فكرة الوشم كمفهوم للبقاء

والصور المعروضة تعطي شعورا سينمائيا تبدو فيه الحركة مفهوما ومشاركة وعلى حد تعبير العرشي "لا أسعى لتقديم تأريخ ولا لكتابة الواقع، أنا أبحث عن الذاكرة والأصل أريد ترميم الذاكرة وتخليصها من قيود استعمارية، لا أحب تصوير النساء كمجرد عرض واستعراض ولكن كحركة وإنسانية وكيان وتلقائية وتحاور بين جيل وجيل بشكل أصيل وجمالية خالدة."

المصورة تشتغل على مفهوم الهوية من خلال المرأة وتحديدا «الوشم» بعيدا عمّا قدمته كاميرا المستشرقين من تنميط

وتضيف "في الصورة ستدرك كيف تفاعلت مع النساء، وهذا ما منحهن أيضا ردات فعل حسية بحنين طافح أكثر ديناميكية فقد شعرن أنهن مشاركات في الجمال في الحكاية في المشروع، لم يرين أنفسهن مجرد عرض لصناعة الصور، بل شعرن بالتفاعل والمشاركة، لستُ عالمة أنثروبولوجيا، ولا أنوي أن يكون هذا العمل تحقيقًا بأيّ شكل من الأشكال، إن عملي يسمح للنساء بالشعور بالمزيد من المشاركة والحيوية."

الصورة وحي وانعكاس

لطالما كان التصوير الفوتوغرافي وسيلةً للعرشي للتعبير عن هويتها، سواء بتصوير عائلتها في اليمن أو بإنتاج أعمال فنية تُجسد مجتمعها من النساء العربيات في أفلامها التي أخضعتها للوساطة الجمالية من أجل تكثيف الهوية الحسية والتلقائية البصرية والانتماء الإنساني.

وقد تطور هذا التوجه إلى نقد لتصوير العرب والشعوب المُستعربة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث نشأت العراشي في الولايات المتحدة، غير قادرة على التفاعل مع صور وسائل الإعلام، ما دفعها إلى تطوير محفظة أعمال تستكشف مواضيع الأنوثة والروحانية والمكان والهوية، كما فعلت في فيلم "أسماء الله الحسنى التسعة والتسعون" (2018) هو فيلم قصير يتحدى الصور الشائعة للإسلام، وركزت فيه على أدوار الأنوثة والطبيعة والتأمل والهندسة والطقوس الدينية المُجسدة.

تقول الفنانة "أنا لست مستشرقة حالمة ولكنني رومانسيةٌ، أنظر بعين الهوية وبروح الانتماء، كان الأمر بمثابة احتجاج لي لأتمكن من صنع صور جميلة تُجسد شخصيتي، وأصدقائي، وشكل عائلتي، ومناظر البلد الذي تنحدر منه عائلتي."

"عائشة" منهج بحث رقيق وثنايا جمال نبشت في خبايا نساء المغرب العربي، الوشم زينة وتمييز انتماء وهوية مهما حاولن إخفاءه أو أجبرن على إخفائه، امرأة تجلس في الداخل في كادر الصورة، والظلال تُلقي على وجهها تفصيلا حاملا للواقع ومستذكرا للماضي، مُغطاةً بأقمشة مُربعة تتدلى منها قلادات فضية، يداها مرفوعة إلى رأسها والأخرى مُتكئةٌ على حجرها، يلامس الضوء يديها المغطاتين برموز ثقيلة بالحبر الأسود تلتف حول ذراعها من الداخل، كما لو كان جسدها لوحةً للتمرين، رموز ورموز، خطوط تحاول الصورة أن تقتلع الصمت بالصدى بتصور أسلوبي يجتمع فيه الوقع الآسر للصورة والإيقاع المتناغم للرسم التقليدي وما يجمع بينها من صور تعود إلى الماضي إلى الجدات، استحضار استكمالي يبوح بتفاصيل التصورات.

تقول يُمنى العرشي "النساء اللاتي التقيتهن فتحن قلوبهن وتفاصيلهن الاستذكارية، رغم أن بعضهن لم يكنّ راغبات في التقاط صورهن نظرًا إلى العلاقة العنيفة بين الاستعمار والكاميرا في شمال أفريقيا."

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

«كلمات الحرب».. سيرة لأشجع دعاة الحقيقة آنا بوليتكوفسكايا

فيلم درامي سياسي يكرم المناضلين النبلاء بالكلمة من خلال صحافية روسية

تساعد أفلام السير الذاتية لشخصيات مؤثرة في الكشف عن خفايا الواقع والتاريخ المسكوت عنه، من خلال ما يحيط بهذه الشخصية من شخصيات وتفاصيل ووقائع، ومن هذه الشخصيات آنا بوليتكوفسكايا، الصحافية التي ناضلت لأجل الحقيقة وقدمت حياتها ثمنا لها، كما يروي لنا فيلم "كلمات الحرب".

علي المسعود
كاتب عراقي

يمثل فيلم "كلمات الحرب"، إخراج البريطاني المخضرم جيمس سترونغ وسيناريو إريك بوبين، لحظة فارقة في تاريخ السينما، إذ يبدو أن حريات الصحافة وغيرها من مقومات الديمقراطية تتعرض للهجوم في جميع أنحاء العالم.

يأتي الفيلم تخليدا لذكرى مناضلة من أجل الحقيقة في روسيا تحت حكم الرئيس فلاديمير بوتين، وهو سيرة ذاتية عن نضال الصحافية الروسية البارزة آنا بوليتكوفسكايا التي اشتهرت بكشفها الدؤوب للفساد الحكومي والسياسات الدكتاتورية، لاسيما خلال حرب الشيشان الثانية، ويفترض أنها اغتيلت انتقاما قبل عقدين من الزمن، في يوم عيد ميلاد فلاديمير بوتين نفسه.

الصحافية العنيدة

يتناول الفيلم قصة آنا بوليتكوفسكايا الصحافية المشهورة عالميا ومراسلة صحيفة "نوفايا غازيتا" والناشطة في مجال حقوق الإنسان، التي اشتهرت في التسعينات وأوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وأصبحت صوت الصحافة المستقلة في روسيا. قدمت بوليتكوفسكايا تقارير عديدة من مناطق الحرب، وأولت اهتماما خاصا للوضع في الشيشان، ولم توقف أنشطتها على الرغم من التهديدات العديدة التي وصلتها. وفي 7 أكتوبر 2006، تعرضت لإطلاق النار وقتلت أمام المجمع السكني الذي تقطنه، وهي عملية اغتيال لم تحل إلى حد الآن، وما زالت تثير اهتمام المجتمع الدولي.

الفيلم تكريم للمراسلين في الخطوط الأمامية الذين يخاطرون - وغالبا ما يفقدون - حياتهم سعيا وراء الحقيقة

صنعت بوليتكوفسكايا شهرتها من تغطية الأحداث في الشيشان، وتحولت مقالاتها بعد عام 1999، حول الأوضاع في الشيشان إلى العديد من الكتب، التي نشر معظمها خارج روسيا، وقد تابع القراء الروس تحقيقاتها ومنشوراتها من خلال صحيفة "نوفيا غازيتا" الروسية المعروفة بتحقيقاتها التي تغطي الشؤون السياسية والاجتماعية الروسية الحساسة. ومنذ عام 2000، نالت العديد من الجوائز الدولية، بينها جائزة اليونسكو/ غييرمو كانو العالمية لحرية الصحافة في سنة 2007 (بعد وفاتها). وفي عام 2004، نشرت أشهر أعمالها كتاب "روسيا بوتين". لفتت قصة آنا بوليتكوفسكايا انتباه العالم بعد أن ظهرت انتقاداتها الصريحة لحكم فلاديمير بوتين للشيشان والفظائع المكثفة التي ارتكبت خلال الحرب.

أنجز جيمس سترونغ فيلمه الدرامي والسياسي "كلمات الحرب" استنادا إلى أحداث حقيقية، ولعب الأدوار الرئيسية في الفيلم: ماكسين بيك في شخصية آنا بوليتكوفسكايا، سيارن هيندز (ديمتري موراتوف) وجيسون إيزاك (ألكسندر بوليتكوفسكي). يستكشف الفيلم من الفترة من عام 1999 إلى عام 2006 ويتابع العنف المتصاعد الذي يهدد استقرار المنطقة من خلال تقارير الصحافية التي عرضت للعالم الظلم والانحطاط ما جعلها في النهاية عدوا لبوتين وسلطته على البلاد.

يبدأ "كلمات الحرب" في عام 2004، بمشهد لآنا بوليتكوفسكايا في المستشفى بعد تعرضها لمحاولة اغتيال بالسم الذي وضع لها في كوب الشاي الذي قدمته لها مضيفة طيران على متن طائرة روسية، كانت على متن الطائرة للتوجه للإبلاغ عن أزمة الرهائن في سبتمبر 2004 في مدرسة في بيسلان، وبدلا من أن تكون قادرة على إكمال الرحلة، انتهى بها الأمر فاقدة للوعي في وحدة العناية المركزة، بجانبها في المستشفى ابنها إيليا (الذي يلعب دوره هاري لوتي) وابنتها فيرا (التي تلعبها نعومي باتريك).

عندما يصل رئيس تحرير صحيفة "نوفايا غازيتا" ديمتري موراتوف إلى المستشفى، يخبر ديمتري موظفة الاستقبال في وحدة العناية المركزة أنه يريد زيارة الصحافية آنا بوليتكوفسكايا، ولكنها، ذكرت أنه لا يوجد سجل لشخص يحمل اسم آنا. يعرف ديمتري على الفور ما يعنيه ذلك، آنا مستهدفة "للاختفاء" من قبل الحكومة الروسية. بعد معرفته برقم الغرفة التي ترقد فيها الصحافية، على الفور يخبر إيليا وفيرا وميلا أنه يتعين عليهم جميعا تهريب آنا من المستشفى، يقودون آنا الفاقدة للوعي، التي تستخدم التنفيط الوريدي على نقالة وعلى متن طائرة خاصة تنتظرهم، مع عدم وجود حراس أمن في المستشفى لإيقافهم.

تهريب آنا كان بسهولة تامة من هذا المستشفى، وهذا غير منطقي بالنسبة إلى شخصية يفترض أنها تخضع للمراقبة من قبل حكومة وتم تسميمها في ظروف مريبة. بعد تهريبها تعود أحداث الفيلم فجأة إلى عام 1999، وهو العام الذي أصبح فيه بوتين رئيسا لوزراء روسيا. بالعودة إلى أحداث ما قبل خمس سنوات، نجدها مراسلة مناضلة وكاتبة في صحيفة "نوفايا غازيتا" المستقلة (غير الخاضعة لسيطرة الدولة) التي ساهم ميخائيل غورباتشوف في تأسيسها بعد تفكك الاتحاد السوفياتي. يمكّنها إحساسها بالظلم من كشف حقائق فاضحة، سواء بين الأثرياء من أصحاب الثروات الطائلة أو بين مؤسسات الرعاية الاجتماعية، مثل دور الأيتام، التي تعاني من نقص التمويل الكافي.

ظلت شهرة آنا محدودة حتى وافق رئيس التحرير ديمتري موراتوف (سيارن هندز) على السماح لها بتغطية الأحداث الميدانية في الشيشان، حيث لم ينظر إلى اندلاع الصراع الجديد مع القوات الروسية حتى الآن إلا من خلال عدسة الدعاية الحكومية. كانت رحلتها الأولى إلى منطقة حرب صادمة، لكنها لم تقدم لها سوى القليل من المعلومات. في زيارتها الثانية، تخلت عن إشراف الجيش لتصطحب مرشدا محليا (فادي السيد في دور أنزور)، الذي وعدها بإطلاعها على حقيقة ما يحدث. شعرت آنا بالرعب من الظروف البائسة والمدمرة التي يعيش فيها المدنيون الشيشان والفظائع التي يروونها.

زوج آنا ألكسندر ساشا بوليتكوفسكي (الذي يلعبه جيسون إسحاق)، صحافي إذاعي ومقدم برنامج حواري تلفزيوني، لا يريدها أن تذهب إلى منطقة الحرب في زيارتها الثانية. في النهاية، تنقل إلى موقع قبر مجهول لأكثر من 150 شيشانيا قتلوا. تحدث مقالات آنا الاتهامية تأثيرا سلبيا فوريا. يطرد زوجها ألكسندر من وظيفته البارزة في الإعلام، ويقلق أبناؤهما البالغون من تهورها. وسرعان ما تلت ذلك تهديدات بالقتل من مجهولين، ومراقبة لافتة، وزيارات تحذيرية من ممثل الشرطة السرية (إيان هارت). لكن الضغط الذي تمارسها آنا على الكرملين يحظى باهتمام هيئات حيوية مثل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

عندما سيطر المتمردون الانفصاليون الإسلاميون الشيشان على مسرح دوبروفكا في موسكو في أكتوبر 2002، واحتجزوا أكثر من 900 من الجمهور رهائن، طالبوا بآنا وسيطا تفاوضيا لهم، حتى عندما ظهرت على وشك الموت في المستشفى بعد تعرضها للتسمم، سرعان ما يتم تخطي حالة التسمم وتتعافى منها، تعود إلى العمل كمراسلة مرة أخرى كما لو أنها لم تتعرض إلى محاولة اغتيال والتسمم لم يحدث لها أبدا. ولا يوجد ذكر للمشاكل الصحية الواقعية والعالقة التي كانت ستحصل عليها نتيجة لهذا التسمم الحاد.

لا تتردد شخصية الصحافية آنا بوليتكوفسكايا العنيدة والقوية في السعي بحزم في بحثها عن الحقائق، إنها تكشف بلا هوادة عن الحقيقة، متجاهلة أيّ اعتبارات للتسوية تجاه نظام قمعي مبني على الخوف والخداع. ينبع تصميمها من التزامها بالقيم الإنسانية. ليس لديها أي مرفقات أخرى سوى فضح الإساءة والقسوة. وترفض التراجع، بل على العكس من ذلك، تعزز موقفها وتزداد صلابة. في سن 48، قتلت بوليتكوفسكايا على يد مسلح في مصعد المبنى السكني الذي تقيم فيه في موسكو في 7 أكتوبر 2006، وهو عيد ميلاد الرئيس الروسي بوتين الـ 54.

الرسالة أو الدرس

يبدأ الفيلم بسؤال آنا بوليتكوفسكايا "هل تعتقد أنه إذا كانت هناك حرب في مكان ما، فلن يكون لها أيّ تأثير على مكان آخر؟" في المناخ السياسي اليوم، لا بد من استخلاص الدرس أو الرسالة التي لا بد للمشاهد أن يتعلمها من قصة كفاح الصحافية المناضلة. هذه الرسالة لا تساعد على تحريك المشاهد فحسب، بل إنها تفصح عن نضال هؤلاء المراسلين في كشف الحقيقة، في هذا التكريم الرائع لأصحاب الموقف والكلمة الحرة مثل شهيدة غزة الصحافية شرين أبوعاقلة أو فاطمة حسونة وغيرهما.

يجب القول إن فيلم "كلمات الحرب" لجيمس سترونغ تصوير مبسط للغاية للصحافية الروسية الرائعة آنا بوليتكوفسكايا التي تعتبر رمزا ملهما للصحافة الشجاعة. بثت ماكسين بيك الحياة في هذه المرأة الشجاعة التي قاتلت بلا كلل ضد الحكومة الروسية والمشاعر القومية التي تتعارض مع مبادئها. كانت على استعداد لمواجهة أكثر المواقف فظاعة، والمخاطرة بحياتها إذا لزم الأمر للعثور على الحقيقة. الصحافية آنا لم تتراجع أبدا.

يدرك الفيلم بوضوح أهمية الرسالة التي تنقلها، ويتحدث عن خطر كبير في جميع أنحاء العالم ألا وهو غياب حرية الصحافة. الصحافيون يموتون باسم الحرية ونقل الحقيقة. في الواقع، كان العام الماضي هو العام الأكثر دموية للصحافيين منذ التسعينات. وحسب قول إيرين خان، مقررة الأمم المتحدة الخاصة المعنية بحرية التعبير والرأي "إن تراجع حرية الإعلام وزيادة التهديدات التي تهدد سلامة الصحافيين هو اتجاه عالمي، ويتجلى بشكل أكثر وضوحا في تراجع الديمقراطيات والدول الشمولية المتمردة."

يتضمن الفيلم بعض الحبكات الفرعية التي تتلاشى نوعا ما، مثل القبض على أنزور في الشيشان، وآنا تشعر بالذنب حيال ذلك. تظهر حبكة فرعية أخرى آنا وهي تتطارد من قبل شاب يدعى إيفان (يلعبه بيلي هينشكليف)، تجسد الممثلة بيك شخصية الصحافية آنا بثقة فولاذية إلى حد ما، لأن آنا تعتقد أنه سيكون من النبيل الموت من أجل قضية صحفية، حتى لو كانت وفاتها ستجلب ألما لا يقاس لعائلتها وأحبائها الآخرين، مثل مشاعر الزوج ساشا المتضاربة، التي تمزقت بين كونه داعما لمهنة زوجته والتعبير عن مخاوفه بشأن مخاطرها المهنية.

الشخصية التي تم تلفيقها للفيلم هي عميل حكومي مشبوه يدعى إيغوروف (يلعبه إيان هارت)، يقترب من آنا في مقهى عندما تعود إلى موسكو. يبدأ بمحادثة ودية تتحول إلى محاضرة/ تحذير من أن حياتها في خطر إذا استمرت في إهانة الحكومة الروسية، أي بوتين. ينبثق إيغوروف مرة أخرى من وقت إلى آخر لإعلام آنا بأنها تحت المراقبة. ويقدم الفيلم منافسة صارخة بين حرية التعبير وإكراه الدولة.

يتبع الفيلم طريق بوليتكوفسكايا من غروزني في عام 1999 حتى ذلك اليوم القاتل في أكتوبر من عام 2006، عندما واجه سعيها وراء الحقيقة رصاصة. على خلفية تصاعد سيطرة الدولة، تواجه رسائل الصحافية تكتيكات الجيش الروسي في الشيشان، زنازين التعذيب والمقابر الجماعية والمنازل المحترقة. يشتد التوتر في موسكو، في مسرح دوبروفكا وأزمات الرهائن في مدرسة بيسلان، حيث يصبح تعاطفها درعا وضعفا. تتحول المشاهد بين الشوارع التي مزقتها الحرب وغرف الأخبار المعقمة، ما يؤكد الفجوة بين المعاناة في ساحة المعركة وغرف التحرير.

يتناول سرد الفيلم مرحلتين متميزتين: الدفعة الروسية الأولية للاستيلاء على غروزني في أواخر عام 1999 ومكافحة التمرد الذي امتد إلى عام 2006. وتؤكد مشاهد الشهادات المدنية، التي تم تصويرها بوضوح لا يتزعزع، على الوحشية التي يتعرض لها الشيشان العاديون. تأخذ أساليب التعذيب المفصلة في رسائل بوليتكوفسكايا وزنا وثائقيا تقريبا هنا، لتذكير المشاهدين بكل إطار متجذر في روايات شهود حقيقيين وبالتوازي مع ساحة المعركة.

يلتقط الفيلم كيف تستمر تكتيكات التضليل في الحقبة السوفياتية – إزالة المعارضين من الصور الفوتوغرافية، ونشر الشائعات من خلال المنافذ الخاضعة للرقابة – في الألفية الجديدة في روسيا. يجسد عمل بوليتكوفسكايا النضال ضد تلك الظلال، ويصر على أن التقارير المستقلة تظل منارة المساءلة الوحيدة في نظام مصمم لحجب الحقيقة والتضييق على حرية الكلمة.

من ناحية أخرى تكشف اللحظات المنزلية عن خوف عائلتها المتزايد – زوج ممزق بين الكبرياء والذعر– والأبناء الذين تطاردهم الأمسيات الغائبة. تلوح في الأفق التهديدات التي يتعرض لها الأحباء كظلال مستمرة. إن الإشارات في تكريم المراسلين الذين سقطوا تعيد إلى الوطن إرثا من الأرواح المعرضة للخطر من أجل الحقيقة الواضحة.

أخيرا، يلقي الفيلم تحذيرا واسعا بشأن مشهد المعلومات الممزق في عصرنا، الصراعات التي كانت بعيدة ذات يوم تموج الآن قريبا منا، وتستمر في التيارات الرقمية. إنه بمثابة دعوة في الوقت المناسب للدفاع عن القنوات التي تسمح بسماع الأصوات الحقيقية.

شهادة قوية

الفيلم يقدم إشارة إلى ما يتعرض له الصحافيون من خطر عند الإبلاغ عن الحقيقة. على الرغم من الترهيب من كبار المسؤولين الحكوميين للصحافية آنا بوليتكوفسكايا، والمراقبة المستمرة، ومحاولات اغتيالها، وخوف عائلتها المفهوم على سلامتها، إلا أنها تثابر وتواصل الكفاح لفضح الواقع الذي يتكشف أمام عينيها. وكما يذكرنا هذا الفيلم قبل الاعتمادات الختامية، لم تكن بوليتكوفسكايا وحدها. قتل أكثر من 1700 صحافي في السنوات الـ25 الماضية بسبب تغطيتهم لقصص كان الأشخاص على استعداد لقتلها لإبقائها سرية.

في المناخ السياسي اليوم، لا بد من استخلاص الدرس أو الرسالة من قصة كفاح الصحافية المناضلة آنا بوليتكوفسكايا

يقول المتشائمون إننا نعيش في عصر "ما بعد الحقيقة"، مع مصادر أخبار منقسمة ومنعزلة ولا يوجد فهم مشترك للمفاهيم الأساسية مثل الحقائق أو الإثبات أو التفكير النقدي، حتى روسيا "الديمقراطية" الجديدة في أوائل التسعينات استمرت في السيطرة على المعلومات كما كانت في الحقبة السوفياتية. ومع ذلك، كان لدى ميخائيل غورباتشوف رؤية للمزيد من الصحافة المستقلة. استخدم الأموال التي حصل عليها لجائزة نوبل للسلام لتأسيس صحيفة لا تسيطر عليها الحكومة. كانت تسمى "نوفايا غازيتا"، والتي تعني صحيفة النمط الجديد. كان غورباتشوف يعلم أن المجتمع القائم على الثقة والعدالة والحقيقة هو وحده القادر على الحفاظ على الديمقراطية.

كانت بوليتكوفسكايا مراسلة للصحيفة التي نشرت قصصا عن الحرب الروسية في الشيشان. حاول الروس إيقافها بالتهديدات والإساءة والتسميم، حطموا جهاز التسجيل الخاص بها وطردوا زوجها، وهو صحافي تلفزيوني روسي بارز. أخيرا، أطلقوا النار عليها. الأجزاء الأكثر تأثيرا في الفيلم هي تفاعلات بوليتكوفسكايا مع المدنيين في الشيشان، الذين يشعرون في البداية بالقلق بسبب تجربتهم مع الصحافيين، وجميعهم مهتمون فقط بالدعاية. ولكن تعاطف بوليتكوفسكايا مع قضيتهم أكسبها ثقتهم. هذا له عواقب مفجعة في وقت لاحق من الفيلم حيث أخبرتها السلطات الروسية أنها في حاجة إليها للتفاوض على وضع الرهائن لأنها الوحيدة التي يثق بها الإرهابيون، وإيمانها بقدرتها على إيجاد حل سلمي والتزامها بحماية حتى الإرهابيين من الشيشان دفعها إلى وضع ثقتها في المكان الخطأ.

"لست في حاجة إلى مراسل حربي. كل شخص لديه واحد من هؤلاء،" كما يقول محرر الصحيفة، مضيفا "نحن في حاجة إلى مراسل شعبي: حساس ومتعاطف، ولكنه أيضا صارم الذهن، وعلى استعداد لمواجهة الأقوياء من خلال طرح أسئلة صعبة." كانت المراسلة التي تناسب هذا الوصف هي آنا بوليتكوفسكايا، كانت النهاية غير المعلنة لوصف المحرر "ومستعدة للمخاطرة بحياتها لرواية القصة." فالفيلم تكريم للمراسلين في الخطوط الأمامية الذين يخاطرون – وغالبا ما يفقدون – حياتهم سعيا وراء الحقيقة. "كلمات الحرب" ليس مجرد فيلم، إنه دعوة للضمير.

ملاحقة الحقائق بين الشوارع وغرف الأخبار

امرأة شجاعة قاتلت بلا كلل ضد القمع

دعوة في الوقت المناسب للدفاع عن أصوات الحقيقة

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

أجندة الذكاء الاصطناعي في الإمارات تضيء سماء أوروبا

بُنى تحتية سيادية وحلول مبتكرة.. «جي 42» ترسم ملامح مستقبل التقنية

أعلنت مجموعة "جي 42" الإماراتية إطلاق شركة جديدة في لندن لتعزيز حضورها في أوروبا، ووقّعت شراكات إستراتيجية مع المملكة المتحدة وفرنسا وإيطاليا، لتأسيس بنية تحتية متقدمة تركز على تقديم حلول الذكاء الاصطناعي المصممة للقطاع الخاص، وتسريع الابتكار الرقمي، وتعزيز السيادة التقنية في القارة.

الذكاء الاصطناعي في مهمة توسّع

أبوظبي - أعلنت مجموعة "جي 42 " التابعة لشركة "كوري 42" الإماراتية الجمعة عن إطلاق شركة "جي 42 أوروبا والمملكة المتحدة"، وهي شركة تابعة تتخذ من العاصمة البريطانية لندن مقرًا لها، وتركز على تقديم حلول الذكاء الاصطناعي المصممة للقطاع الخاص في المنطقة، بالإضافة إلى التعاون مع الحكومات والشركات لتعزيز بناء بنية تحتية حيوية للذكاء الاصطناعي في أنحاء القارة الأوروبية.

ويأتي إطلاق المشروع الجديد برئاسة مشتركة لكل من عمر مير، عضو مجلس الإدارة الدولي في شركة "وورلد وايد تكنولوجي"، ومارتي إيدلمان، المستشار العام لمجموعة "جي 42".

> مشاريع لإنشاء مراكز بيانات ومنشآت حوسبة متقدمة في فرنسا وإيطاليا خطوة جديدة ضمن توسّع «جي 42» في أوروبا

وقال عمر مير، الرئيس المشارك لـ"جي 42 أوروبا والمملكة المتحدة"، إن قيادة الشركة تهدف إلى نقل الخبرات المتقدمة التي طورتها "جي 42" في مجال الذكاء الاصطناعي إلى السوقين الأوروبي والبريطاني، بما يدعم جهود التحول الرقمي، ويعزز التنافسية، ويسهم في تطوير بنية تحتية سيادية ومرنة للذكاء الاصطناعي، بالتعاون مع الشركاء من القطاعين العام والخاص.

من جهته أكد مارتي إيدلمان أن المملكة المتحدة وأوروبا تمثلان سوقًا ديناميكية تتيح فرصًا واسعة للابتكار المدعوم بالذكاء الاصطناعي، مشيرًا إلى أن افتتاح مقر مخصص في لندن يرسّخ التزام المجموعة بفهم المتطلبات التنظيمية المحلية وتقديم حلول تكنولوجية بمعايير عالمية.

ويُعد هذا الإطلاق خطوة جديدة ضمن توسّع "جي 42" في أوروبا، بعد إعلانها مؤخرًا عن مشاريع لإنشاء مراكز بيانات ومنشآت حوسبة متقدمة في فرنسا وإيطاليا، الأمر الذي أثار اهتمام عدد من الدول الأخرى في المنطقة.

وستستفيد "جي 42 أوروبا والمملكة المتحدة" من شبكة "جي 42" العالمية في مجالات الحوسبة الفائقة ومراكز البيانات والذكاء الاصطناعي، لتقديم خدمات شاملة وقابلة للتوسع تشمل الاستشارات الإستراتيجية وتطوير النماذج ونشر البنية التحتية والخدمات المدارة.

وتغطي حلول الشركة قطاعات متنوعة، مثل الخدمات المالية والرعاية الصحية والصناعة والطاقة، إلى جانب التعاون مع الجهات الوطنية والإقليمية لدعم مبادرات السيادة الرقمية وتسريع نشر البنية التحتية للذكاء الاصطناعي من الجيل التالي.

وفي سياق متصل شاركت مجموعة "جي 42" في ملتقى "فيفا تك"، أكبر حدث تقني مخصص للشركات الناشئة في أوروبا، كشريك حصري ورائد في مجال الذكاء الاصطناعي، وذلك في النسختين المقبلتين للعامين 2025 و2026.

وجرى الاتفاق على المبادئ الأولية لهذا التعاون من خلال مذكرة تفاهم وُقعت بين كل من موريس ليفي، رئيس "فيفا تك" ورئيس مجلس الإشراف لمجموعة "بوبليسيس"، وبينغ شياو، الرئيس التنفيذي لمجموعة "جي 42، وذلك في قصر فرساي خلال قمة "اختر فرنسا".

وتفتح هذه الشراكة فصلًا جديدًا من التعاون الإقليمي، يوحد طموحات الإمارات وفرنسا في صياغة أجندة عالمية للذكاء الاصطناعي بشكل مسؤول.

وتركز الشراكة على قضايا رئيسية، أبرزها التوسع الواسع في الذكاء الاصطناعي والسيادة التكنولوجية والمنظومات الموثوقة للابتكار، ما يؤكد التزام "جي 42" ببناء شبكة الذكاء، وهي منظومة عالمية مترابطة من البنى التحتية والمنصات ونماذج الحوكمة التي تدعم الذكاء الاصطناعي المسؤول والسيادي والشامل.

وبهذه المناسبة قال بينغ شياو إن المهمة المشتركة هي "إطلاق العنان للإمكانات التحولية للذكاء الاصطناعي من أجل الابتكار والقدرة التنافسية، والأهم من ذلك من أجل المساواة والأمان والاستدامة،" مؤكدًا أن رسالة الشراكة ترتكز على بناء مستقبل الذكاء الاصطناعي على أساس الثقة، وأن يخدم الجميع.

من جانبه أكد موريس ليفي على الدور الريادي لمجموعة "جي 42" ورؤاها التي تتناغم تمامًا مع أهداف "فيفا تك" في تقديم تقنيات وشراكات تُسهم في صياغة مستقبل هذا القطاع، معربًا عن تطلعه إلى بناء جسور جديدة بين أوروبا والشرق الأوسط، وقيادة حوارات بناءة حول الابتكار والتأثير.

ويشمل التعاون بين الطرفين معارض للابتكار المشترك ومناقشات على مستوى السياسات ومبادرات تقودها الشركات الناشئة، تركز على بناء مستقبل يعتمد على الثقة والأمان والاستدامة.

وفي السياق نفسه أعلنت مجموعة "جي 42" عن توقيع شراكة إستراتيجية مع شركة "آي جينيوس" الإيطالية، المختصة في تطوير نماذج الذكاء الاصطناعي للقطاعات الخاضعة للتنظيم الصارم.

وتهدف الشراكة إلى تدشين أكبر بنية تحتية لحوسبة الذكاء الاصطناعي في أوروبا، في خطوة نوعية تعكس متانة العلاقات الاقتصادية والاستثمارية بين دولة الإمارات العربية المتحدة وجمهورية إيطاليا.

وتركز الشراكة على نشر بنية تحتية للحوسبة عالية الأداء تعتمد على وحدات المعالجة الرسومية المتقدمة من شركة "إنفيديا" من نوع "بلاكويل"، حيث ستتولى شركة "كوري 42" الإماراتية تشغيل هذه البنية وإدارتها، ضمن خطة شاملة للتوسع في أوروبا عبر بناء بنية تحتية سيادية للذكاء الاصطناعي.

وستكون هذه البنية الجديدة ركيزة أساسية لتسريع تطوير واستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في عدد من القطاعات الحيوية، مثل الخدمات المالية والصناعة والقطاع العام، استجابة للحاجة الأوروبية المتزايدة إلى بنى تحتية رقمية تتسم بالأمان والكفاءة وقابلية التوسع، بما ينسجم مع التوجهات الأوروبية نحو السيادة الرقمية. وقال كيريل إفتيموف، الرئيس التنفيذي للتكنولوجيا في مجموعة "جي 42، إن الشراكة مع "آي جينيوس" تمثل مرحلة جديدة في دعم اقتصاد الذكاء الاصطناعي في أوروبا.

فيما أكد أوليان شاركا، الرئيس التنفيذي لشركة "آي جينيوس"، أن هذا التحالف مع "جي 42" يُعد خطوة إستراتيجية نحو تطوير بنية تحتية ذات طابع سيادي في مجال الذكاء الاصطناعي على مستوى القارة، موضحًا أن الشراكة تجمع بين حوسبة عالمية المستوى وخبرات عميقة في تقنيات الذكاء الاصطناعي، لتقديم حلول فعالة تخدم قطاعات متعددة. وشدد على أن هذه الشراكة تُعزز أيضًا مكانة إيطاليا كمركز محوري للابتكار والتحول الرقمي المسؤول.

غوغل تحوّل نتائج البحث إلى بودكاست

سان فرانسيسكو (الولايات المتحدة) - في خطوة جديدة تؤكد توجّهها نحو الذكاء الاصطناعي التوليدي، أعلنت شركة غوغل الجمعة عن إطلاق ميزة مبتكرة تُسمى "أوديو أوفرفيوز"، تحوّل نتائج البحث النصية إلى مقاطع بودكاست قصيرة مُولّدة كلها بالذكاء الاصطناعي، خلال ثوانٍ معدودة.

الميزة الجديدة مبنّية على نموذج "جيميناي"، أحد أقوى نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي لدى غوغل، والذي يستخلص المعلومة من النصوص الناتجة عن استعلام المستخدم، ثم يعيد تقديمها بصيغة صوتية على شكل حوار بين صوتين بشريين تم توليدهما بالذكاء الاصطناعي. ويتناول الحوار بشكل مبسّط موضوع البحث، وهو ما يوفر تجربة تفاعلية وسريعة لفهم المعلومة دون الحاجة إلى القراءة.

وفي بيانها الرسمي قالت شركة غوغل إن هذه الخدمة تهدف إلى تلبية احتياجات المستخدمين الذين يفضّلون الحصول على المعلومات أثناء أداء مهام متعددة، أو أولئك الذين يفضلون المحتوى الصوتي على النصوص. وأضافت "نحن نقدّم طريقة عملية وفعالة للحصول على المعرفة، من دون الحاجة إلى استخدام اليدين أو التحديق في الشاشة."

ويأتي إطلاق "جيميناي" في سياق تحوّل أكبر تشهده بيئة الذكاء الاصطناعي، حيث يُتوقع أن يلعب الصوت دورًا محوريًا في مستقبل التفاعل مع التقنية. ويعكس ذلك تصاعد الاهتمام بالمساعدين الصوتيين مثل "سيري" و"أليكسا"، وظهور واجهات صوتية مدعومة بالذكاء الاصطناعي توفر تجربة طبيعية وسلسة.

> «أوديو أوفرفيوز» تحوّل نتائج البحث النصية إلى مقاطع بودكاست قصيرة مُولّدة بالذكاء الاصطناعي، خلال ثوانٍ معدودة

هذه الميزة ليست أول تجربة لغوغل في تحويل النصوص إلى صوت ذكي. ففي سبتمبر الماضي أطلقت الشركة أداة ضمن منصتها "نوت بوك أل أم" لتحويل المستندات إلى حلقات بودكاست تعتمد على الذكاء الاصطناعي بأسلوب محادثة. لكنها كانت موجهة للوثائق الشخصية أو المحتوى المُخزن مسبقًا، على عكس "أوديو أوفرفيوز" التي تنطلق من نتائج البحث المباشرة لتلبي حاجة فورية للمستخدم.

وتُظهر هذه الخطوة أيضًا التحوّل الإستراتيجي في غوغل نحو الاعتماد المتزايد على الذكاء الاصطناعي التوليدي، لمواجهة المنافسة المتسارعة، لاسيما من أوبن أيه آي المدعومة من مايكروسوفت، والتي كانت قد قلبت موازين السوق منذ إطلاقها تطبيق تشات جي بي تي.

وفي مايو الماضي كشفت غوغل عن خطط لإتاحة بعض خدماتها المدعومة بالذكاء الاصطناعي للمستخدمين مقابل اشتراك شهري يبلغ 249.99 دولارًا، وهو ما يؤكد سعيها إلى تحقيق عائد مباشر من تقنياتها التوليدية، واستهداف الفئات الاحترافية والشركات.

ومن الواضح أن شركة غوغل لم تعد تنظر إلى "البحث" كمجرد استعلام نصي تقليدي، بل كعملية تفاعلية شاملة يمكن تقديمها عبر وسائط متعددة. فمع هذا التطور تُصبح نتائج البحث الصوتي جزءًا من تجربة أكثر غنى، حيث يمكن أن تتحوّل المعلومة إلى مقال أو فيديو أو بودكاست، بناءً على تفضيلات المستخدم وسياق بحثه.

وليست "أوديو أوفرفيوز" مجرد ميزة صوتية، بل هي مؤشر على التحول العميق الذي تعيشه خدمات الإنترنت، حيث تسعى شركات التكنولوجيا إلى دمج الذكاء الاصطناعي مباشرة في تجربة المستخدم. غوغل، التي بدت لبعض الوقت متأخرة عن منافسيها، تُثبت الآن أنها تتحرك بثقة لإعادة تعريف تجربة البحث.

الذكاء الاصطناعي يتكلم

ميتا تمهد للذكاء الفائق: استثمار في سكيل إيه آي وبداية مختبر جديد

نيويورك - تعتزم ميتا إجراء استثمار كبير في رأس مال شركة الذكاء الاصطناعي الناشئة "سكيل إيه آي" التي تبلغ قيمتها 29 مليار دولار، في مؤشر على التوجه المتسارع للشركة الأم لفيسبوك نحو الذكاء الاصطناعي.

ولم تعقب سكيل إيه آي على سؤال وكالة فرانس برس بشأن حجم هذه الحصة التي قدّمتها وسائل إعلام أميركية بنسبة 49 في المئة، وأشار بيانها الصادر الخميس إلى حصة أقلية فقط.

وأكدت ميتا هذه الصفقة التي وُصفت بأنها "شراكة إستراتيجية"، وفق بيان صادر عنها.

وللحصول على 49 في المئة من أسهم سكيل إيه آي بهذا التقييم، سيتعين على ميتا دفع ما يزيد قليلا عن 14 مليار دولار.

وبذلك سيكون هذا ثاني أكبر استثمار للشركة بعد إنفاقها 19 مليار دولار للاستحواذ على منصة واتساب عام 2014.

> سكيل إيه آي تُعد شركة غير معروفة نسبيا، متخصصة في معالجة البيانات المستخدمة لتطوير نماذج ضخمة للذكاء الاصطناعي التوليدي

وتستند هذه الصفقة إلى تقييم يزيد عن ضعف القيمة التقديرية لآخر جولة تمويلية لشركة سكيل إيه آي في مايو 2024.

وكانت ميتا استثمرت في الشركة في ذلك الوقت، وكذلك فعلت أمازون وإنتل وشركة إنفيديا الرائدة في مجال رقائق الذكاء الاصطناعي، حيث قُدّرت قيمة الشركة الناشئة في سان فرانسيسكو آنذاك بنحو 13.8 مليار دولار.

وتُعد سكيل إيه آي شركة غير معروفة نسبيا، متخصصة في معالجة البيانات المستخدمة لتطوير نماذج ضخمة للذكاء الاصطناعي التوليدي.

وغالبا ما تُعتبر جودة البيانات التي تُشغّل هذه البرامج بأهمية النماذج نفسها، نظرا لدورها الأساسي في توليد النتائج التي يقدمها الذكاء الاصطناعي التوليدي.

وتهدف مبادرة ميتا التي تسري أنباء عنها منذ أيام، إلى الالتحاق بسباق الذكاء الاصطناعي، حيث تواجه المجموعة بعض الشكوك بشأن النتائج التي حققتها حتى اليوم.

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

الرياضة مفيدة للمصابين بعدم انتظام دقات القلب

التمارين الرياضية تساعد على تخفيف المتاعب الصحية مثل الخفقان وضيق التنفس والتعب والدوار

تمارين تناسب مرضى القلب

لا يزال الأطباء وخبراء اللياقة البدنية يوصون مرضى القلب، وخاصة المصابين بالرجفان الأذيني، بممارسة التمارين الرياضية؛ إذ تساعد هذه التمارين على تخفيف المتاعب الصحية مثل الخفقان وضيق التنفس والتعب والدوار. وتوصي الجمعية الأوروبية لمرضى القلب بالالتزام بممارسة الرياضة بانتظام كجزء أساسي في علاج أمراض القلب.

برلين - توصلت مراجعة كوكرين الجديدة لـ20 دراسة مختلفة إلى أن التمارين الرياضية تساعد على تخفيف المتاعب الصحية مثل الخفقان وضيق التنفس والتعب والدوار، وتعمل على تحسين الأداء البدني، وهو ما يؤدي إلى تحسين جودة الحياة بشكل عام.

ومراجعة كوكرين هي مراجعة منهجية يقوم بها باحثون من مؤسسة كوكرين من أجل تنظيم معلومات الأبحاث العلمية الطبية بشكل منهجي، ما يسهّل عملية اتخاذ القرارات من قبل الأخصائيين في مجال الطب.

وتعد الرياضة عموما مفيدة للمصابين بالرجفان الأذيني، وهو شكل شائع من عدم انتظام دقات القلب. ويحدث بشكل خاص لدى كبار السن؛ حيث تصبح النبضات الكهربائية في أذيني القلب غير منتظمة، ما يؤدي إلى عدم انتظام معدل دقات القلب.

وتشمل الأعراض النموذجية الخفقان والدوار وضيق التنفس والتعب والشعور العام بالضعف. وإذا لم يتم علاج الرجفان الأذيني، فإنه يرفع خطر الإصابة بالسكتة الدماغية وقصور القلب.

ويستفيد الأشخاص المُصابون بارتفاع ضغط الدم أو مرض الشريان التاجي وضعف تدفق الدم إلى عضلة القلب بشكل خاص من التمارين الرياضية. وفي هذه الحالات يبدو أن للنشاط البدني آثارا إيجابية متعددة، سواء على عدم انتظام دقات القلب أو على الأمراض المصاحبة له.

وبالإضافة إلى التحسن البدني أفاد الكثير من المشاركين أيضا بفوائد نفسية؛ حيث شعروا بقلق أقل بشأن صحتهم. وبشكل عام تحسنت جودة حياتهم، وهو ما يمثل حافزا قويا لزيادة نشاطهم البدني في الحياة اليومية.

ومن المهم مواءمة التمارين الرياضية مع الأداء الفردي، على أن تتم ممارستها تحت إشراف طبيب.

وتوصي الجمعية الأوروبية لمرضى القلب بالالتزام بممارسة الرياضة بانتظام كجزء أساسي في علاج أمراض القلب.

وبسبب ميل الناس إلى الحياة المريحة وقلة الحركة تزداد نسبة أمراض القلب المؤدية إلى الموت يوميا، ومن ثَم تظهر أهمية هذه التوصيات في الوقاية والعلاج من أمراض القلب.

وهناك ثلاثة أنواع من التمارين يُمكن لمريض القلب ممارستها بأمان والحصول على فوائدها.

ومنها التمارين الهوائية، وهي مجموعة من التمارين تهدف إلى تحريك أكبر عدد من عضلات الجسم، مثل رياضة المشي والسباحة، وتمارين المقاومة التي تتميز بأنها تجعل العضلات تعمل بجهد أكبر، مثل رياضة رفع الأثقال، وأيضا تمارين التوازن والمرونة، وهي التمارين التي تركز على تحسين مرونة الجسم وتوازنه، ومن أمثلتها تمارين اليوغا.

وخلال ممارسة الرياضة يعمل القلب بقوة أكبر، ومن ثَم تزداد كمية الدم التي يحتاج إليها القلب، والتي يحصل عليها من الشرايين التاجية.

وتؤثر الرياضة بعدة طرق في جسم الإنسان، منها تقليل ضغط الدم على المدى البعيد؛ إذ من المعروف أن ضغط الإنسان الطبيعي يجب أن يكون أقل من 120 – 80 مم زئبق، ولكن يقل دائمًا ضغط الدم لدى الرياضيين والحريصين على ممارسة الرياضة، وربما يصل إلى 90 – 60 مم زئبق.

كما تقلل الرياضة ترسب الكولسترول على الطبقات الداخلية للشرايين؛ ومن ثَم يتم الحفاظ على معدل طبيعي لسريان الدم وتقليل الجلطات.

> المُصابون بارتفاع ضغط الدم وضعف تدفق الدم إلى عضلة القلب يستفيدون بشكل خاص من التمارين الرياضية

وعند ممارسة الرياضة وزيادة حرق الدهون تنتج مواد من عمليات التمثيل الغذائي والحرق، مثل أكسيد النيتريك الذي يعمل على فتح الشرايين وسريان الدم بصورة طبيعية داخلها.

وتحفز الرياضة مستقبلات الأنسولين على العمل وتزيد من حساسية الأنسجة تجاهه؛ وهو ما يؤدي إلى زيادة معدل الحرق وقلة التعرض للإصابة بمرض السكري من النوع الثاني.

وتقوم الرياضة بمهمة تمرين عضلة القلب وبالتالي زيادة قدرتها على أداء وظيفة ضخ الدم.

وتعتبر عضلة القلب أهم عضلة في الجسم وأكثر الأجزاء التي تقع عليها مسؤولية استمرارية حياة الإنسان، فهي تقوم بضخّ الدم إلى جميع أجزاء الجسم لتزويدها بالغذاء والأوكسجين الذي تحتاجه لتأدية وظائفها وأي نقص في هذه التروية يسبب الكثير من المشاكل، كما أنها تقوم بسحب الفضلات والسموم من الجسم والتخلّص منها لزيادة كفاءة عمل الأعضاء المختلفة، وتحتاج هذه العضلة إلى التمرين والرياضة.

وما زالت الأبحاث العلمية والدراسات الطبية تؤكد على فوائد الرياضة المهمة لصحة الجسم، ودورها في الوقاية من عدد كبير من الأمراض وعلاج معظمها والوقاية من الفشل القلبي.

وتوصلت دراسة أميركية حديثة إلى أن ممارسة التمارين الرياضية بانتظام وخفض الوزن يقللان احتمالات الإصابة بأحد أشكال الفشل القلبي، ويسمى فشل القلب مع سلامة الضخ. وفي حالة فشل القلب مع سلامة الضخ تصبح عضلة القلب متصلبة وغير قادرة على تخزين كمية كافية من الدم، وهو ما يؤدي إلى تراكم السوائل في الرئتين والجسم.

ويقول المعد الرئيسي للدراسة الدكتور جاريت بيري، الأستاذ في قسم الطب الباطني والعلوم السريرية بكلية الطب في جامعة تكساس الأمريكية، "لقد وجدنا ارتباطا قويا بين ممارسة النشاط الجسدي وقيمة مؤشر كتلة الجسم والخطر الإجمالي للإصابة بفشل القلب، وهو أمر ليس مستغربا، ولكن الجديد هو مدى تأثير أنماط الحياة على هذا النوع من الفشل القلبي."

بدورهم كشف باحثون أن ممارسة الرياضة بانتظام يمكن أن تقلل بشكل كبير احتمالات الإصابة بأمراض القلب لدى الرجال، حتى لدى الذين يعانون من عوامل خطر مثل ارتفاع ضغط الدم أو مستويات الكولسترول المرتفعة، وهو ما أثبتته دراسة نشرت في مجلة "القلب" الأوروبية.

وأظهرت الدراسة التي أُجريت على أكثر من 40 ألف رجل تتراوح أعمارهم بين 40 و75 عامًا، أن ممارسة التمارين المعتدلة إلى المكثفة لمدة 150 دقيقة أسبوعيًا يمكن أن تقلل احتمالات الإصابة بأمراض القلب بنسبة تصل إلى 30 في المئة.

وتشير الدراسة إلى أن النشاط البدني يُعزز تدفق الدم ويحافظ على مرونة الأوعية الدموية، ما يقلل من تراكم الدهون في الشرايين، وهي أحد الأسباب الرئيسية لأمراض القلب.

بالإضافة إلى ذلك تحسن ممارسة الرياضة مستويات الكولسترول في الجسم وتسهم في خفض ضغط الدم، وهما عاملان رئيسيان في الوقاية من أمراض القلب.

وأكد الباحثون أن الفوائد لا تقتصر على الذين بدأوا ممارسة الرياضة في سن مبكرة، بل إن الرجال الذين بدأوا ممارسة التمارين الرياضية بعد سن الأربعين ما زالوا يستفيدون من التحسينات الصحية، حيث أن حتى التمارين البسيطة، مثل المشي السريع أو ركوب الدراجات الهوائية، تُظهر فوائد صحية كبيرة، وتعتبر خطوة فعّالة في تحسين صحة القلب.

وقال جون سميث، أخصائي القلب والأوعية الدموية والمؤلف الرئيسي للدراسة، "النتائج التي توصلنا إليها تؤكد أهمية النشاط البدني في الوقاية من أمراض القلب، حتى مع وجود عوامل خطر معينة، يمكن أن تكون ممارسة التمارين الرياضية عاملًا مهمًا في الحفاظ على صحة القلب لدى الرجال."

القفز على الترامبولين يثبت فعالية في فقدان الوزن

نيويورك - أثبتت التقنية، المعروفة باسم "الارتداد" أو القفز على الترامبولين الصغير، فعالية مذهلة تفوق التمارين التقليدية مثل الجري، في فقدان الوزن.

وتكمن قوة هذه التمارين في قدرتها على تحفيز الجسم بشكل كامل. فبينما يعتمد الجري بشكل رئيسي على الجزء السفلي من الجسم، فإن القفز على الترامبولين الصغير يتطلب مشاركة جميع العضلات تقريبا، ما يؤدي إلى حرق سعرات حرارية أكبر وتنشيط الجسم بالكامل.

وأظهرت دراسة قديمة أجرتها ناسا عام 1980 عادت إلى الواجهة مؤخرا بعد تداولها على الإنترنت، أن 10 دقائق فقط من "الارتداد" تعادل من حيث الفعالية أكثر من 30 دقيقة من الجري، حيث تحرق نحو 70 في المئة سعرات حرارية إضافية.

ولا تقتصر فوائد "الارتداد" على فقدان الوزن فقط، فبحسب الدكتور مايكل عزيز، الطبيب في مستشفى لينوكس هيل بنيويورك، فإن هذه التمارين تحسن صحة القلب وتعزز الدورة الدموية، كما أنها تنشط الجهاز اللمفاوي الذي يلعب دورا حيويا في التخلص من السموم وتعزيز المناعة.

كما أن الارتداد ينشط العمل المفيد للجهاز اللمفاوي، حيث يتخلص الجسم من السموم الضارة بالصحة. يمكن أن يتسارع التدفق الليمفاوي من 10 إلى 15 مرة. إضافة إلى ذلك، فإن تسريع حركة الخلايا الليمفاوية يساعد الجسم على محاربة الالتهابات بشكل أكثر فعالية وله خاصية تحسين المناعة بشكل عام.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الارتداد يساعد على خفض ضغط الدم ومعدل ضربات القلب أثناء الراحة، ما يجعله خيارا مثاليا لتحسين اللياقة القلبية الوعائية دون الضغط المفرط على المفاصل الذي يصاحب التمارين مثل الجري أو ركوب الدراجة.

ويرى خبراء اللياقة البدنية أن الارتداد لا يتطلب معدات باهظة الثمن، حيث تتوفر الترامبولينات الصغيرة بأسعار معقولة تبدأ من 50 دولارا، ما يجعلها في متناول الجميع. كما أن تنوع التمارين التي يمكن ممارستها عليها، مثل القفز الثابت أو تمارين القفز المتفرق أو حتى تمارين البطن، يجعلها مناسبة لمختلف مستويات اللياقة.

وفي الدراسة الأصلية التي أجرتها ناسا، تمت مقارنة النشاط البدني بين الجري على المشاية الكهربائية والقفز على الترامبولين، ووجد العلماء أنه عند نفس مستوى مجهود القلب وامتصاص الأكسجين، كان "الارتداد" أكثر فعالية من حيث حرق السعرات الحرارية.

> تنوع التمارين التي يمكن ممارستها على الترامبولين مثل تمارين القفز المتفرق، يجعلها مناسبة لمختلف مستويات اللياقة

وقد قدر الدكتور عزيز أن ربع ساعة من "الارتداد" تحرق نحو 150 سعرة حرارية، مقارنة بـ 60 إلى 100 سعرة حرارية تحرقها نفس المدة من المشي المعتدل، ونحو 120 سعرة حرارية للجري بسرعة متوسطة.

الارتداد يتفوق على الجري في فوائده

بحسب الدكتور عزيز، فإن إحدى أهم مزايا الارتداد هي أنه يوفر حلا عمليا للأشخاص الذين يرغبون في خسارة الوزن دون الاضطرار إلى قضاء ساعات طويلة في التمارين. فبينما يتطلب فقدان نصف كيلوغرام أسبوعيا خفض 500 سعرة حرارية يوميا، يمكن تحقيق ذلك بممارسة "الارتداد" لمدة 50 دقيقة يوميا، مقارنة بساعتي مشي أو ساعة جري.

ويؤكد الخبراء الصحيون أن "الارتداد" على الترامبولين الصغير يقدم حلا شاملا لتحسين اللياقة البدنية، وفقدان الوزن، وتعزيز الصحة العامة، كل ذلك دون الحاجة إلى معدات معقدة أو جهد مفرط، ما يجعله خيارا مثاليا للكثيرين.

ويذهب خبراء اللياقة البدنية إلى أن القفز على الترامبولين يحرق سعرات حرارية أكثر من الجري بثلاث مرات والقيام بتمارين على لعبة الترامبولين لمدة ساعة يحرق حوالي 1000 سعرة حرارية وكل هذا دون الضغط على المفاصل وحدوث تأثير سلبي على العضلات.

وتتمتع التمارين الهوائية بالقدرة على التأثير بشكل مفيد على عمل الغدة الدرقية، لذا فإن القفز يمكن أن يساعد في الحصول على الشكل وتقليل السيلوليت.

صيام الماء يؤدي إلى فقدان الكتلة العضلية بنسبة تفوق فقدان الدهون

فيلنيوس - يشهد صيام الماء رواجا بين الأشخاص الذين يبحثون عن طرق لفقدان الوزن بسرعة أو لتحسين صحتهم، ومع ذلك يحذر الخبراء من اتباع هذا النوع من الصيام دون إشراف طبي.

وبينت دراسة ليتوانية تتعلق بتأثير الصيام المتواصل لمدة خمسة أيام مع شرب الماء، أجريت على 42 امرأة في منتصف العمر يتمتعن بصحة جيدة، تحولا أيضيا واضحا لدى المشاركات، حيث انخفضت مستويات الجلوكوز والأنسولين بشكل ملحوظ، بينما ارتفعت الأجسام الكيتونية في الدم خمسة أضعاف، ما يؤكد تحول الجسم لاستخدام الدهون كمصدر رئيسي للطاقة.

وخضعت المشاركات لبرنامج صيام دقيق تحت إشراف طبي مع مراقبة شاملة لمختلف المؤشرات الحيوية.

وسجلت المشاركات فقدانا متوسطا للوزن بلغ 4.25 كيلوغرام، مع انخفاض في محيط الخصر بمقدار 6.6 صنتيمتر، وهي نتائج تتوافق مع العديد من الدراسات السابقة حول فوائد الصيام. غير أن المفاجأة الكبرى جاءت من ارتفاع مؤشرات الالتهاب في الجسم، حيث زادت مستويات "إنترلوكين – 6" وعامل نخر الورم ألفا، بشكل غير متوقع، وهو ما يتعارض مع الاعتقاد السائد بأن الصيام يقلل الالتهابات.

كما أثارت النتائج قلق الباحثين حول فقدان الكتلة العضلية الذي تجاوز نسبة فقدان الدهون، حيث فقدت المشاركات في المتوسط 3.18 كيلوغرام من الكتلة العضلية مقابل كيلوغرام واحد فقط من الدهون.

وعلى الجانب النفسي، سجلت الدراسة تحسنا واضحا في الحالة المزاجية للمشاركات، مع زيادة في النشاط والحيوية وانخفاض في مستويات التوتر. ولكن الأمر الأكثر إثارة كان اكتشاف العلاقة بين السمات النفسية ونتائج الصيام، حيث تبين أن الأشخاص الأكثر تحكما في انفعالاتهم والأعلى في الذكاء العاطفي حققوا نتائج أفضل في فقدان الدهون، بينما ارتبطت سمات مثل العصابية والتوتر بفقدان أكبر للكتلة العضلية.

أما على المستوى الهرموني، فقد حافظ هرمون الأديبونكتين على مستوياته الطبيعية، بينما انخفضت مستويات الإيريسين بشكل ملحوظ، دون أي تغير يذكر في عامل التغذية العصبية المشتق من الدماغ، وهي نتائج تطرح أسئلة جديدة حول التفاعلات الهرمونية المعقدة أثناء الصيام.

ورغم القيود التي تشوب الدراسة مثل عدم وجود مجموعة ضابطة واقتصارها على فئة عمرية وجنسية واحدة، إلا أنها تفتح آفاقا جديدة لفهم أكثر شمولا لتأثيرات الصيام على الجسم والعقل. وتؤكد النتائج على أهمية اتباع نهج شخصي في برامج الصيام، يأخذ في الاعتبار الخصائص الفردية لكل شخص، مع التركيز بشكل خاص على الحفاظ على الكتلة العضلية أثناء فترات الصيام الطويلة.

ولا تقلل هذه الدراسة من قيمة الصيام وفوائده المثبتة، ولكنها تؤكد أن الجسم البشري نظام معقد يتفاعل بطرق قد لا تكون متوقعة دائما، ما يستدعي المزيد من البحث والفهم العميق لآليات هذه التفاعلات.

عادت تقنية للياقة البدنية، مدعومة من ناسا، إلى الظهور مجددا والانتشار بشكل واسع عبر الإنترنت، باعتبارها مفتاحا لفقدان الوزن بسهولة ودون جهد كبير.

يشير الخبراء إلى أن صيام الماء ليس خيارا آمنا خاصة إذا تم تطبيقه دون إشراف مختص، فإلى جانب فقدان الوزن السريع يؤدي الصوم لفترة طويلة إلى فقدان الكتلة العضلية بسبب غياب البروتين، إضافة إلى نقص العناصر الغذائية الضرورية، كما يتسبب هذا النوع من الصوم في مشكلات صحية عدة مثل انخفاض مستوى السكر في الدم وزيادة خطر التعرض لاضطرابات القلب والكلية.

> صيام الماء يعد وسيلة محفوفة بالمخاطر لفقدان الوزن السريع؛ فالخسارة الأولية تكون ناتجة عن نقص الماء

ويُعدّ صيام الماء وسيلة محفوفة بالمخاطر لفقدان الوزن السريع، فالخسارة الأولية في الوزن تكون ناتجة عن نقص الماء والجليكوجين، وقد يعود الجسم لوزنه سريعا بمجرد العودة إلى النظام الغذائي المعتاد، لذا ينصح الأطباء بتجنبه.

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

تزايد العنف ضد الرجال يعكس تحولات المجتمع في كردستان

عدم معالجة الأسباب الجذرية المؤدية إلى العنف يفاقم الأزمة عامًا بعد عام

ظاهرة للملاحظة

من الصعب الوقوف على الأعداد الحقيقية للمعنفين من الرجال في كردستان العراق بسبب التحرج من تقديم شكاوى، غير أن منظمات حقوقية تدق ناقوس الخطر محذرة من تفشي الظاهرة وتأثيراتها السلبية، خصوصا أنها تعكس تصاعدًا خطيرًا في مستوى العنف الأسري الذي بات يهدد استقرار المجتمع.

أربيل (كردستان العراق) - **كشف اتحاد رجال كردستان عن ارتفاع لافت في حالات العنف الأسري والانتحار والقتل بحق الرجال خلال الأشهر الأربعة الأولى من عام 2025، في مؤشر خطير يعكس تداعيات الاضطرابات الاجتماعية المتزايدة والأزمات الاقتصادية المتواصلة في إقليم كردستان.**

ولطالما كان العنف الأسري في كردستان يُنظر إليه على أنه ظاهرة تمس النساء بالدرجة الأولى، لكن الإحصائيات الأخيرة تكشف عن تصاعد حالات العنف ضد الرجال، وهو ما يعكس تحولات اجتماعية مرتبطة بالأوضاع الاقتصادية والثقافية المتغيرة.

ومن الصعب الوقوف على الأعداد الحقيقية للمعنفين من الرجال في عموم العراق بسبب التحرج من تقديم شكاوى حول تعرضهم للتعنيف من قبل زوجاتهم، لاعتبارات اجتماعية، لذلك فإن الأرقام المسجلة في هذا الخصوص تعتبر أقل من الواقع لكنها غير مبالغ فيها بحسب ادعاءات البعض.

وأعلن رئيس اتحاد رجال كردستان برهان فرج تسجيل 194 شكوى عنف أسري تقدم بها رجال خلال الفترة الممتدة من بداية العام الجاري حتى الأول من مايو الماضي، مؤكدًا أن هذا الرقم يمثل زيادة ملحوظة مقارنة بالأعوام السابقة.

وأضاف أن الإحصائيات الرسمية سجلت أيضًا 23 حالة انتحار لرجال، بالإضافة إلى 5 حالات قتل من قبل زوجاتهم أو أهالي زوجاتهم أو من قبل أطفالهم تعود أسبابها إلى مشاكل وخلافات عائلية، لافتاً إلى أن هذه المؤشرات "تعكس تصاعدًا خطيرًا في مستوى العنف الأسري الذي بات يهدد استقرار المجتمع."

> **194**
> **شكوى عنف أُسري تقدم بها رجال من بداية العام الجاري حتى مطلع مايو الماضي في كردستان العراق**

وقالت تقارير حديثة إن الكثير من الرجال الذين يتعرضون لعنف زوجاتهم لا يتجرأون على كشف ذلك والذهاب إلى المنظمة، نظرا إلى أنهم يعتبرون أن الرجل هو صاحب القرار الأول والأخير في المجتمع الذكوري الذي يعيشون فيه، لذلك يفضّلون التكتّم على معاناتهم على البوح بها وكشفها للعموم وما يخلّفه ذلك من فضيحة.

وعن أسباب هذا التصاعد أوضح فرج أن "التغيرات المتسارعة التي يشهدها المجتمع الكردي، إلى جانب استمرار الأزمة المالية التي تعصف بالإقليم، تعد من أبرز المحركات وراء تصاعد العنف ضد الرجال،" مشددًا على أن عدم معالجة الأسباب الجذرية المؤدية إلى العنف هو ما يفاقم الأزمة عامًا بعد عام.

ويعاني المئات من الرجال في الإقليم سنويا من تعنيف أسري على يد زوجاتهم، لتصل بعض الحالات إلى التعنيف النفسي والجسدي والجنسي، في ظل تحركات لتعديل قانون الأحوال الشخصية للتقليل من تلك الحالات التي باتت تؤثر على بنية المجتمع.

وتتنوع أشكال العنف بين النفسي والقانوني والاقتصادي، خاصة في حالات الطلاق والحرمان من الأبناء.

وتعكس هذه الظاهرة مشكلة أكبر تتعلق بغياب الحوار واحترام الأدوار بين الأزواج. فقد يؤدي العنف المتبادل بين الأزواج إلى آثار نفسية واجتماعية خطيرة على جميع أفراد الأسرة، وخاصة الأطفال الذين قد يكبرون في بيئة غير صحية، ويعيدون إنتاج سلوكيات العنف في حياتهم المستقبلية.

ومن مظاهر تعنيف الرجال تعنيفا نفسيا إبعادهم عن المنازل، وقد قسم المختصون ذلك إلى نوعين، الأول للرجال متوسطي العمر وخصوصاً حينما تكثر المشكلات الأسرية داخل الأسرة فيكون الرجال أكثر عرضة للإخراج من المنازل، والثاني يشمل كبار السن من الرجال، ويتعلق بتخلف الأسر عن إعانة كبار السن والقيام بتوطينهم في المصحات أو دور إيواء المسنين.

ويلجأ عدد كبير من الرجال إلى الإقامة في الفنادق، بسبب قيام نسائهم بطردهم من البيت لأسباب مختلفة، ويرى ناشطون أن غالبية القوانين في الإقليم تدعم المرأة، ومجحفة في حق الرجال، فضلا عن وجود المئات من المنظمات المدنية التي تدعم حقوق المرأة، في حين ليس هناك من يدافع عن الرجل.

وفي المقابل ينفي المدافعون عن حقوق المرأة وجود عنف ضد الرجل، وإن وجد فإنه نفسي وغير جسدي، مبررين ذلك بأن الرجل الشرقي له سلطة أكبر على زوجته بحكم طبيعة المجتمع العراقي الذكوري.

ويرون أن موضوع ممارسة العنف ضد الرجال من قبل النساء مبالغ فيه، وأن حالات كهذه تحدث نادرا في المجتمع الكردستاني، الذي يشهد ممارسة حالات العنف ضد النساء بشكل ملحوظ.

وأوضحوا أن المجتمع الكردستاني مجتمع ذكوري رغم وجود قوانين تضمن حقوق المرأة، وأشاروا إلى أن "الرجل ما زال يتمتع بالسلطة الكاملة ويملك القرار في الأسرة، كما يتمتع بالحرية الكاملة، في حين يفرض المجتمع قيوداً كثيرة على المرأة."

لكن فرج أكد أن العنف الذي يواجهه الرجال في كردستان يتمثل في الخيانة الزوجية ونفور الزوجات من أزواجهن جنسيًا، بالإضافة إلى طرد آبائهم المسنين من قبل زوجاتهم، والحرمان من زيارة العائلة والاستيلاء على الأموال الخاصة، وقال إن العنف يصل إلى ذروته من خلال تعرض الزوج للعنف الجسدي من قبل زوجته.

الرجل الشرقي له سلطة أكبر على المرأة

وقال إن منظمته تهدف إلى تفعيل دور الرجل في الأسرة والمجتمع، والدفاع عن حقوق الرجال وإصلاح الحياة الاجتماعية المختلة نحو حياة يسودها الوئام والمحبة، كما دعا في وقت سابق إلى تعميم دور المنظمات المدافعة عن حقوق الرجال على المحافظات العراقية الأخرى، وجعل يوم تأسيس منظمته يوما لمناهضة العنف ضد الرجل. كما دعا المنظمات الحقوقية النسوية إلى توعية النساء حول مراعاة واحترام حقوق الرجل والزوج وعدم الاقتصار على الدفاع عن حقوقهن.

ورأى فرج أن مجتمعات إقليم كردستان تعيش منذ سنوات حالة من التغيرات الاجتماعية العميقة نتيجة الأزمات الاقتصادية والسياسية المتتالية والتطور التكنولوجي، وقد أدت هذه التغيرات إلى تفكك البنية الأسرية وظهور أنماط جديدة من العنف الأسري، منها الموجه ضد الرجال.

وأشار إلى أن "الرجال كما النساء أصبحوا ضحايا للعنف الأسري، في ظل غياب برامج التوعية والدعم النفسي والاجتماعي،" مؤكدًا وجود "ارتفاع ملحوظ أيضا في نسب الطلاق خلال الأشهر الأخيرة، ما يُعد مؤشرًا إضافيًا على هشاشة البنية الأسرية في الإقليم."

وارتفعت حصيلة الطلاق أيضا منذ عام 2010 إلى غاية 2024، حيث وصل عدد حالات الطلاق إلى 115 ألف حالة في الإقليم، مخلفا 300 ألف طفل.

وأشار فرج إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي لها دور في ازدياد المشاكل الاجتماعية في الإقليم بسبب استخدامها استخداما سيئا؛ ففي أغلب الأوقات تؤدي إلى ازدياد هذه المشاكل، إضافة إلى ارتفاع عدد حالات تدخل أهالي الزوجين في حياتهما الزوجية بشكل كبير.

وطالب رئيس اتحاد رجال كردستان في حديثه مع الجهات الحكومية والمنظمات المدنية بـ"وضع سياسات عاجلة لمعالجة هذه الظواهر الاجتماعية الخطيرة، من خلال التوعية المجتمعية، والدعم النفسي، وتوفير حلول اقتصادية تخفف الضغوط عن العائلات في الإقليم."

غير أن العنف ضد الرجال لا يقتصر على كردستان العراق فقط، بل هناك الكثير من الحالات أيضا في مدن عراقية أخرى، حيث كشفت مفوضية حقوق الإنسان عن إحصائية تتعلق بحالات العنف ضد الأزواج في محافظة ديالى خلال الفصل الأول من العام الجاري.

وقال مدير مكتب المفوضية في ديالى صلاح مهدي إن "ظاهرة العنف ضد الأزواج موجودة في ديالى، وقد بدأت وتيرتها بالتصاعد خلال السنوات الأخيرة،" مبينًا أن "معدل العنف ضد الأزواج خلال الفصل الأول من العام الجاري بلغ ما نسبته 10 في المئة من إجمالي حالات العنف الأسري المسجلة رسميًا في مراكز الشرطة بعموم مناطق ديالى."

وأضاف مهدي أن "هذه النسبة لا تعكس الرقم الحقيقي للحالات كافة، لاسيما أن الكثير من هذه القضايا يُتجنب الإبلاغ عنها كونها تعدّ وصمة اجتماعية، ما يدفع البعض إلى حلّها خارج الإطار الرسمي،" لافتًا إلى أن "النسبة التقديرية الحقيقية قد تتراوح بين 15 و20 في المئة من مجموع حالات العنف الأسري."

وأشار إلى أن "العنف ضد الأزواج يتخذ عدة صور، منها عنف الأبناء ضد آبائهم، أو عنف الزوجة أو أقربائها ضد الزوج، وهناك أسباب متعددة تؤدي إلى هذا النوع من العنف،" موضحًا أن "بعض هذه القضايا يتم حسمها بالتراضي داخل مراكز الشرطة، بينما تُحال قضايا أخرى إلى المحاكم المختصة للفصل فيها وفق القوانين النافذة."

ويتعامل القانون العراقي مع قضية الاعتداء على الرجل وفقاً للقوانين ذاتها التي حاسب عليها الرجل عند الاعتداء على زوجته أو ابنته أو غير ذلك، وبالتالي لا يوجد قانون متخصص يحاسب الرجل والمرأة كلّ على حدة.

وكان مجلس الوزراء العراقي قد أقرّ في أكتوبر عام 2020 مشروع قانون "مناهضة العنف الأسري"، ومرّره إلى البرلمان، لكن القانون لم يشرّع حتى الآن بسبب معارضته من قبل جهات سياسية في البرلمان، وخصوصاً تلك المنتمية إلى الأحزاب الدينية التي ترى أن فيه "مخالفة" للشريعة الإسلامية وأنه سيؤدي إلى حدوث تفكك أسري.

وتحدث المحامي المتخصص في شؤون الأسرة محمد جمعة عن تصاعد مظاهر العنف في المجتمع العراقي خلال السنوات الأخيرة، مشيرا إلى أن المجتمع بات يتسم بمستوى غير مسبوق من الجرأة على ارتكاب الجرائم والعنف الأسري.

وأضاف جمعة أن "هذه المؤشرات المقلقة ترتبط بمجموعة من العوامل، أبرزها ضعف سلطة الدولة، وهيمنة العشيرة والقبيلة على حساب القانون، وغياب الثقة بنظام العدالة."

ووفقاً لحديث جمعة، فإن العنف أصبح وسيلة رئيسية لحل النزاعات في ظل هذا التحول الخطير، حيث تسجل المحاكم والمراكز القضائية يومياً حالات تتجاوز ما كان مألوفا في السابق من جرائم وتعنيف بين أفراد الأسرة وحتى بين أفراد المجتمع بصفة عامة، مضيفا أنه "منذ سنوات لم نشهد مثل هذه الجرأة على ارتكاب الجرائم."

> **أشكال العنف تتنوع بين النفسي والقانوني والاقتصادي والطرد من المنزل، خاصة في حالات الطلاق والحرمان من الأبناء**

ويشير المحامي العراقي إلى أن تأثير العادات والتقاليد الراسخة في المجتمع العراقي زاد من تعقيد ظاهرة العنف، حيث يواجه الكثير من الضحايا تحديات في التبليغ عن تعرضهم للعنف، وخاصة الرجال الذين غالباً ما يتجنبون الإفصاح خوفاً من تأثير ذلك على مكانتهم الاجتماعية، مؤكدا أن "بعض الحالات تُسجل بشكل مضلل، حيث يقدم الطرف المعتدي بلاغا كاذبا لتجنب تبعات الشكوى المقدمة ضده، ما يؤدي إلى تشويه الإحصائيات وعدم دقتها."

وتابع أن "ما يتم الإبلاغ عنه من حالات تعنيف ضد الرجال غالباً ما يكون نتيجة رد فعل على شكوى مقدمة من الزوجة، إذ يسعى الزوج المعتدي لتقديم دعوى مضادة لتخفيف المسؤولية القانونية عنه،" مبينا أن "هذه الممارسات تؤدي إلى ضبابية في فهم الظاهرة، وإلى تزايد حالات التعنيف غير المبلغ عنها."

وبحسب دراسة أجرتها الحكومة العراقية خلال العام الماضي، فإن عدد الإناث اللواتي تعرضن للعنف الأسري أعلى من عدد الذكور، فقد كانت نسبة الاعتداء على الإناث 73 في المئة، فيما بلغت نسبة الذكور المتعرضين للعنف الأسري 27 في المئة ضمن إحصائيات الدعاوى المسجلة.

وتخلص الدراسة إلى أن أكثر أنواع العنف شيوعا هو العنف الجسدي، وقد بلغت نسبته 43 في المئة، بينما مثّل الاعتداء الجنسي أقل نسبة حيث بلغ 16 في المئة.

ويرى كريم سعيد محمد، الباحث الاجتماعي في المنظمة، أن الثورة المعلوماتية ساهمت في إدخال عادات سيئة على المجتمع، ما ساهم في نشر ثقافة العنف ضد الرجال.

مشكلة تتعلق بغياب الحوار

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

مونديال الأندية يفتح حقبة جديدة لكرة القدم

اللعبة الشعبية تواصل النمو في الولايات المتحدة

سيعيش محبو الساحرة المستديرة على وقع انطلاق بطولة كأس العالم للأندية لكرة القدم في الولايات المتحدة. وتشارك في المونديال نخبة من النجوم، يأتي في مقدمتهم الساحر الأرجنتيني ليونيل ميسي، وكذلك أعظم الفرق في العالم مثل ريال مدريد الإسباني. وتعتبر هذه النسخة من المونديال بمثابة خطوة كبيرة من الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) لفرض هيمنته على عالم كرة القدم للأندية.

مرحبا بالعالم

واشنطن - قال رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) السويسري – الإيطالي جاني إنفانتينو إن "مونديال الأندية يفتح حقبة جديدة لكرة القدم،" في إشارة إلى البطولة الجديدة التي تضم 32 فريقا وتنطلق السبت في ميامي.

وأضاف "يشبه الأمر إلى حد ما عندما انطلقت النسخة الأولى لنهائيات كأس العالم الأولى (للمنتخبات) في عام 1930. واليوم يتحدث الجميع عن هذه البطولة الجديدة، وهذا هو سبب كونها تاريخية." قبل 95 عاما بدأت المغامرة الكبرى لكأس العالم للمنتخبات في الأوروغواي (1930)، وأشار إنفانتينو إلى أنها شهدت مشاركة منتخبات أوروبا وأميركا الجنوبية فقط، مؤكدا أن مونديال الأندية سيتيح للفرق من خارج المعقل التقليدي للعبة فرصة المشاركة على الساحة العالمية.

> جياني إنفانتينو رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم قال قبل ثلاث سنوات إنه يتوقع أن تصبح كرة القدم الرياضة الأولى في المنطقة

وتابع "الهدف الحقيقي هو عولمة كرة القدم، وجعلها عالمية بحق. فعندما نغوص في أعماقها، نقول إنها الرياضة الأولى في العالم، وهي كذلك، لكن النخبة تتركز في عدد قليل جدا من الأندية وفي عدد قليل جدا من الدول."

وأوضح المسؤول السويسري الذي كان أمينا عاما للاتحاد الأوروبي لكرة القدم (ويفا) قبل توليه رئاسة فيفا عام 2016، أن مونديال الأندية سيتيح أيضا أمام لاعبين من أكثر من 80 دولة فرصة للمشاركة.

وأضاف إنفانتينو الذي أشار إلى عدد من اللاعبين العظماء السابقين الذين لم يشاركوا في كأس العالم "الدول التي لم تُتح لها فرصة المشاركة في كأس العالم أصبحت فجأة جزءا منها، ويشعر مشجعو هؤلاء اللاعبين وهذه الأندية بأنهم جزء منها." وقال "صديقي العزيز (الليبيري) جورج وياه... أسطورة...، لاعب عظيم، حائز على الكرة الذهبية، وهو اللاعب الأفريقي الوحيد الذي فاز بها. لم يشارك في كأس العالم قط. كان سيشارك في كأس العالم للأندية، ويفخر بها ليس فقط ناديه، بل وبلاده أيضا."

الضغط الشديد

حرص رئيس الهيئة الكروية العالمية على الدفاع عن هذا المشروع، على الرغم من الانتقادات التي وجهت إليه، خاصة ما تعلق منها بالضغط الشديد على الروزنامة في نهاية موسم صعب للعديد من اللاعبين الذين يلعبون في أوروبا.

وتهدد المباريات المتراكمة خلال مونديال الأندية، الذي يستمر حتى 13 يوليو القادم موعد المباراة النهائية، بالضغط على نجوم المستديرة على غرار الفرنسيين كيليان مبابي وعثمان ديمبيليه، والإنجليزي هاري كاين والنرويجي إرلينغ هالاند.

وأكد إنفانتينو بتفاؤل حازم "أنا على يقين من أنه حالما تبدأ الكرة بالدوران، سيدرك العالم أجمع ما يحدث هنا. سيكون حدثا مميزا." لكنه أبدى انزعاجه من الانتقادات الموجهة لإستراتيجية بيع التذاكر التي تعتمد على مبدأ التسعير الديناميكي الشائع في الولايات المتحدة والذي يزيد أو يخفض الأسعار حسب الطلب.

وقال "ننتقد فيفا إذا كانت الأسعار مرتفعة جدا، وإذا كانت الأسعار منخفضة جدا، وإذا قدمنا عروضا ترويجية للطلاب... عندما كنت طالبا ولم يكن لدي أي مال، كنت أتمنى أن يأتي إلي فيفا ويقول: هل تريد الحضور لمشاهدة مباراة في كأس العالم؟" وأضاف "لا نريد ملاعب فارغة. أنا متأكد من أنها ستكون ممتلئة." وفي معرض دفاعه عن مشروعه أوضح إنفانتينو أن منح حقوق البث التلفزيوني لمونديال الأندية لمنصة "دازون" للبث التدفقي، مقابل شيك بقيمة مليار دولار، جعله بالفعل ناجحا ماليا.

وبخصوص نجاح البطولة نفسها، قال رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم "في ما يتعلق بالشمولية والاقتصاد واهتمام الجماهير، سنناقش جميع هذه المعايير في نهاية كأس العالم للأندية، ولكنني الآن أشعر بالتفاؤل عندما أنظر إلى عدد التذاكر المباعة، وحقوق البث التلفزيوني،" مشيرا إلى أن المباريات متاحة مجانا على منصة "دازون". وتساءل "أخبرني عن بطولة واحدة من أهم البطولات اليوم، حيث يمكنك مشاهدة كرة القدم مجانا؟"

وأخيرا، عندما سُئل عن الاحتجاجات محدودة النطاق التي تتزايد في الولايات المتحدة ضد سياسة الهجرة الصارمة التي ينتهجها الرئيس الأميركي دونالد ترامب والتي أدت خاصة إلى نشر قوات عسكرية في لوس أنجلس، لم يُبدِ إنفانتينو أي قلق بشأن الوضع. وقال "السلامة هي أولويتنا القصوى دائما. لذلك، عندما يحدث أمر ما، كما هو الحال في لوس أنجلس، نراقب الوضع عن كثب، ونتواصل باستمرار مع السلطات، ونسعى جاهدين إلى ضمان حضور الجماهير للمباريات بكل أمان."

شعبية كبيرة

قبل عام واحد على انطلاق كأس العالم 2026، تأمل المدن الأميركية المستضيفة للبطولة وعشاق اللعبة أن يزيد هذا الحدث الذي يُقام كل أربع سنوات من شعبية الساحرة المستديرة بين الأميركيين الذين يمارسون تقليديا رياضات أخرى. وقال جياني إنفانتينو قبل ثلاث سنوات إنه يتوقع أن تصبح كرة القدم الرياضة الأولى في المنطقة عندما تقام أكبر نسخة من البطولة في أميركا الشمالية عام 2026 إذ تستضيفها المكسيك وكندا بالاشتراك مع الولايات المتحدة.

وفي حين أن هذه الرياضة لا يزال أمامها طريق طويل لتخفيف قبضة رياضات شهيرة أخرى للرجال في الولايات المتحدة، فإن كأس العالم ستقام هذه المرة بعدما قطعت البلاد شوطا كبيرا في كرة القدم منذ استضافتها كأس العالم لكرة القدم عام 1994. وكانت كرة القدم الاحترافية غير موجودة نسبيا في الولايات المتحدة في تلك الفترة إذ كان دوري كرة القدم للمحترفين في موسمه الثاني فقط بعد تأسيسه.

وبينما احتشد 94194 مشجعا في مدرجات ملعب روز بول لحضور المباراة النهائية التي انتهت بالتعادل السلبي قبل أن تفوز البرازيل في النهاية على إيطاليا 3 – 2 بركلات الترجيح، استغرقت الرياضة وقتا لتستحوذ على اهتمام الأميركيين في تلك المرحلة. وقال إيدي بوب الذي لعب في الدوري الأميركي للمحترفين منذ موسمه الأول بدءا من فريق دي.سي. يونايتد قبل أن ينتقل إلى أندية أخرى "لم يكن أحد يعتقد أن هذه الرياضة ستكون بالمستوى الذي هي عليه الآن."

وأضاف "(في) أيامي في ريال سولت ليك كانت غرفة تبديل الملابس الخاصة بنا في مركز تجاري. ولم نكن نعرف أين سنتدرب في بعض الأيام." ويساعد المدافع المعتزل الآن على تطوير الجيل الجديد كمدير رياضي في نادي كارولاينا كور إف.سي، وهو فريق محترف في الدوري الأميركي يأمل أن يكون مركز التدريب الجديد التابع له ضمن معسكرات المنتخبات في كأس العالم.

وقال بوب لرويترز "بات اللاعبون أفضل حالا وهو ما ينطبق أيضا على المدربين والحكام. كل شيء صار أفضل. استغرق الأمر بعض الوقت لكن يمكنني القول إننا تحركنا بسرعة البرق." ومع وجود 11 من أصل 16 مدينة مستضيفة لكأس العالم في الولايات المتحدة، يأمل المنظمون في بناء إرث جديد لهذه الرياضة في عام 2026، حتى مع معاناة المنتخب الوطني للرجال تحت قيادة المدرب الجديد ماوريسيو بوكيتينو.

وستصبح أتلانتا، التي تم استبعادها من القائمة في عام 1994 أثناء استعدادها لاستضافة دورة الألعاب الأولمبية الصيفية في 1996، عاصمة كرة القدم غير الرسمية للبلاد عندما يفتتح الاتحاد الأميركي أول مركز وطني للتدريب على الإطلاق هناك في أبريل. ومع وجود ثماني مباريات مقررة في المدينة المحورية الجنوبية، بما في ذلك مباراة واحدة في نصف النهائي، تتوقع أتلانتا ما يقرب من 500 مليون دولار من العائدات الاقتصادية. وقال تيم زولاوسكي رئيس شركة إيه.بي.إم للرياضة والترفيه التابعة لمالك أتلانتا فالكونز آرثر بلانك "يتطور دوري المحترفين للرجال. تقام مباريات دولية كثيرة في الولايات المتحدة." وأضاف "في نهاية المطاف نرغب في أن يشاهد الأطفال الكثير من اللاعبين الذين يتطلعون إلى السير على خطاهم."

فيفا يلتزم الصمت

لم يكن هناك أي إعلان في ما يتعلق بالبيع العام للتذاكر، أو أسعار معظم المقاعد، أو موقع إجراء القرعة، أو الترتيبات الأمنية، حيث تجنب الاتحاد الدولي لكرة القدم إلى حد كبير الكشف عن تفاصيل الحدث المقررة إقامته في 16 ملعبا في أميركا والمكسيك وكندا. وهناك عدم يقين بشأن ما إذا كان سيتم الترحيب بجماهير بعض الدول –حيث يوجد 11 ملعبا في أميركا، وستقام عليها جميع المباريات بداية من دور الثمانية.

> المنظمون يأملون في بناء إرث جديد لهذه الرياضة في عام 2026، رغم معاناة المنتخب الوطني تحت قيادة ماوريسيو بوكيتينو

الأمن يمثل مصدر قلق أيضا. ففي آخر بطولة كبرى لكرة القدم أقيمت في أميركا، وهي نهائي كوبا أميركا 2024 في ميامي جاردنز بولاية فلوريدا، بدأ اللقاء بعد تأخير دام 82 دقيقة، وذلك بعد أن اخترق بعض المشجعين بوابات الأمن. واستثنى حظر السفر الذي فرضه الرئيس الأميركي دونالد ترامب على مواطني 12 دولة، الرياضيين والمدربين والأجهزة الفنية وأقاربهم، دون أن يذكر شيئا عن الجماهير. وقد أدلى نائب الرئيس جي دي فانس في 6 مايو بتصريح يمكن تفسيره على أنه تحذير.

وقال "بالطبع نرحب بالجميع ورؤية هذا الحدث المذهل. أعلم أننا سنستقبل زوارا من قرابة 100 دولة. نريدهم أن يأتوا، نريدهم أن يحتفلوا، نريدهم أن يشاهدوا المباريات." وأضاف في إشارة إلى وزيرة الأمن الداخلي كريستي نويم، التي كان يتحدث بجانبها، "لكن عندما ينتهي الوقت، ستتعين عليهم العودة إلى بلدانهم. وإلا فسيتعين عليهم التحدث مع الوزيرة نويم."

كانت استضافة مونديال 1994 شرارة انطلاق منافسات الدوري الأميركي بمشاركة عشرة فرق في عام 1996. كما تم تخصيص 50 مليون دولار من أرباح البطولة لتأسيس مؤسسة كرة القدم الأميركية، التي أوكلت إليها مهمة تطوير اللعبة. واليوم يضم الدوري الأميركي 30 فريقا، ويقام في 22 ملعبا مخصصا لكرة القدم، كما يمتلك أكاديميات للأندية تهدف إلى تنمية اللعبة وتطوير المواهب.

وستشهد بطولة العام المقبل 104 مباريات، مقارنة بـ64 مباراة فقط من نسخ 1998 حتى 2022، كما أن الملاعب الـ11 في الولايات المتحدة جميعها هي ملاعب تابعة لدوري كرة القدم الأميركية وتتميز بوجود أجنحة فاخرة ومقاعد مخصصة لكبار الشخصيات. وستكون أيضا أول بطولة كأس عالم تنظمها فيفا دون لجنة تنظيم محلية.

وقال جيه تي باتسون الرئيس التنفيذي للاتحاد الأميركي لكرة القدم "مبادرة الإرث لعام 2026 تتمحور حول كيفية ضمان وجود كرة القدم في كل مكان في هذا البلد. كيف نضمن أن يتمكن كل أميركي من المشي، أو ركوب الدراجة، أو استخدام وسائل النقل العامة للوصول إلى مكان آمن لممارسة كرة القدم؟ كيف نجعل كرة القدم متاحة في كل مدرسة في أميركا لطلابها؟ وكيف نصل إلى مرحلة يرى فيها كل أميركي نفسه في هذه اللعبة فعلا؟"

وتزايد الاهتمام بكرة القدم بشكل كبير في أميركا، حيث بلغ متوسط عدد مشاهدي مباريات الدوري الإنجليزي الممتاز على شبكات "إن بي سي" في الموسم الماضي نحو 510 آلف مشاهد لكل نافذة بث، كما تجاوز عدد مشاهدي نهائي دوري أبطال أوروبا على شبكة "سي بي أس" حاجز المليونين خلال السنوات الخمس الماضية. ومع ذلك قامت شبكة "سي بي أس" ببث 26 مباراة فقط من أصل 189 مباراة في دوري الأبطال لموسم 2024 – 2025 على التلفزيون، بينما تم بث الباقي عبر الإنترنت.

وجذب الدوري الأميركي لكرة القدم 12.2 مليون مشجع في العام الماضي، ليأتي في المرتبة الثانية بعد الدوري الإنجليزي الممتاز الذي جذب 14.7 مليون مشجع خلال موسم 2023 – 2024 لفرقه العشرين. ومع ذلك اختفى الدوري الأميركي إلى حد كبير من شاشات التلفزيون التقليدي منذ بداية عقده الممتد لعشر سنوات مع منصة أبل في عام 2023. وقال سام سيترون المتحدث باسم أبل إن الشركة لا تنشر أرقام المشاهدات.

خطوة عملاقة

مستقبل مشرق

حوافز مالية ضخمة في انتظار النوادي المشاركة في مونديال الأندية

إنفانتينو: كل مباراة في كأس العالم للأندية قيمتها 30 مليون دولار

يراهن الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) على إنجاح مسابقة كأس العالم للأندية التي تحتضنها الولايات المتحدة من 15 يونيو الجاري حتى 14 يوليو القادم، مقدما في ذلك حوافز مالية هامة.

منافسة قوية بين أفضل فرق العالم

زيورخ (سويسرا) - تتجه الأنظار إلى الولايات المتحدة التي تحتضن مسابقة كأس العالم للأندية في كرة القدم، وسط إشادة جماهيرية كبيرة بقيمة الجوائز المالية للفرق المشاركة في المسابقة.

وأفاد جياني إنفانتينو رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) بأن بطولة كأس العالم للأندية التي تضم 32 فريقا ستلهم الشباب في جميع أنحاء العالم، وستحفز الاستثمار في كرة القدم على مستوى الأندية وتخلق المزيد من الفرص للاعبين والأندية في جميع أنحاء العالم.

وقال إنفانتينو في مقابلة مع منصة دازن "كنت أشرف على الاتحاد الأوروبي، حيث توجد الكثير من الأندية الكبرى التي تتنافس في مسابقات عظيمة وتضم لاعبين من جميع أنحاء العالم، ولكن كمشجع لكرة القدم، رأيت أن الأندية غير الأوروبية الأخرى لا تجد مسرحا حقيقيا للأداء المميز."

> جياني إنفانتينو أخبر الحكام البالغ عددهم 117 بأنهم سيصبحون جزءا من تاريخ مسابقة كأس العالم للأندية

وأضاف "من أجل تطوير كرة قدم الأندية، والتي تشكل 80 في المئة من كرة القدم في جميع أنحاء العالم، نحتاج إلى المنافسة العالمية لإعطاء الفرص لجميع الأندية التي تستثمر كثيرا في خلق وتطوير المواهب."

وأوضح في تصريحات أبرزها الموقع الرسمي الإلكتروني للاتحاد الدولي لكرة القدم أن "ما نريد تحقيقه هو أن تصبح كرة القدم رياضة عالمية فعلا، فالجميع يقول إنها الرياضة رقم واحد في العالم، وهي كذلك بالفعل."

واستدرك "لكن النخبة تتركز في عدد قليل جدا من الأندية وفي عدد قليل جدا من الدول، ونحن نريد أن نعطي الأمل والفرص لأندية مثل ماميلودي صنداونز الجنوب أفريقي وأولسان الكوري وأوكلاند سيتي النيوزيلندي."

وواصل "نريد أن نجعل كرة قدم الأندية عالمية ما يلهم العديد من اللاعبين في بلدانهم والعديد من الأطفال الذين يمكنهم أن يأملوا في أن يصبحوا أبطالا يعرفهم العالم بأسره، فهذه البطولة تمثل تغييرا إيجابيا في تاريخ كرة القدم، وأنا مقتنع أنه بمجرد أن تبدأ الكرة في الدوران، فإن العالم أجمع سوف يدرك أن هناك حدثا مميزا."

وأشار إنفانتينو أيضا إلى أن الأندية الـ32 المشاركة في البطولة تمثل 20 دولة من جميع الاتحادات القارية الستة، ويشارك فيها لاعبون من 81 دولة، مضيفا "هذا يعني أن هذه البطولة تتيح الفرصة للاعبين الذين قد لا تسنح لهم الفرصة للمشاركة مع منتخبات بلدانهم في بطولة عالمية هي كأس العالم."

وقال أيضا "جورج وياه اللاعب الأفريقي الوحيد الذي فاز بجائزة الكرة الذهبية، ولكنه لم يسبق له أن شارك مع منتخب بلاده في كأس العالم، إلا أنه كان بالتأكيد سيشارك في مونديال الأندية لو أقيمت هذه البطولة في عز تألقه."

وأتم جياني إنفانتينو تصريحاته بقوله "كل مباراة في كأس العالم للأندية ستبلغ قيمتها 30 مليون دولار من مجموع إيرادات يصل إلى 2 مليار دولار، وأعتقد أنه لا توجد بطولة أخرى للأندية في العالم تحقق 30 مليون دولار أميركي في المباراة الواحدة، لكن هذه الإيرادات لن تكون على حساب تجربة المشجعين في مونديال الأندية وذلك بفضل الصفقة التاريخية مع منصة الترفيه الرياضي الرائدة في العالم (دازن) التي ستبث جميع المباريات الـ63 مباشرة ومجانا في جميع أنحاء العالم."

وكان السويسري قد التقى حكام بطولة كأس العالم للأندية في الولايات المتحدة. وذكر الموقع الرسمي لفيفا أن إنفانتينو رحب بمجموعة الحكام البالغ عددهم 117 ما بين حكم وحكم مساعد وحكم تقنية الفيديو (فار)، مخبرا إياهم بأنهم سيصبحون جزءا من تاريخ كرة القدم بإشرافهم على النسخة الافتتاحية للبطولة التي تقام للمرة الأولى بمشاركة 32 فريقا.

وقال إنفانتينو خلال زيارته إلى معسكر تدريب الحكام في مدينة ميامي الأميركية "أنا سعيد للغاية بوجودي هنا في مقر هذا الفريق الاستثنائي والفريد من نوعه. إنه الفريق الأفضل على الإطلاق: إنه أول فريق يدخل أرضية الملعب قبل أي مباراة."

وأضاف "إنها مناسبة مميزة حقا بالنسبة إلى فيفا، وبالنسبة إلينا جميعا، وكذلك بالنسبة إليكم جميعا باعتباركم أعضاء الفريق التحكيمي، إنها مناسبة تاريخية، إذ نكتب معكم فصلا جديدا من التاريخ هنا، حيث سيتواجد 117 حكما من 41 دولة مختلفة."

من جانبه ذكر الإيطالي بيرلويجي كولينا، رئيس لجنة الحكام في فيفا، أن البطولة ستشهد بعض الابتكارات الجديدة التي ستساعد على اتخاذ قرارات التسلل بشكل أسرع وأكثر دقة وذلك من خلال تطبيق تقنية التسلل شبه الآلي.

وقال كولينا "إحدى المشكلات التي نواجهها هي عندما يتعين على الحكم المساعد إبقاء الراية منخفضة، حتى لا يوقف الهجمة التي قد تنتج عنها فرصة تسجيل هدف بسبب وجود موقف تسلل غير مؤكد، ثم يقررون ما ينبغي فعله في النهاية."

وأضاف "في بعض الأحيان يتعين على اللاعبين الركض مسافة 40 مترا، وبعد الـ40 مترا يرفع الحكم المساعد الراية. وهذا يشكل خطرا على اللاعبين لأنهم قد يتعرضون للإصابة. وبالتالي، إذا تمكنا من جعل الحكم المساعد مدعوما بالتكنولوجيا لتجنب إبقاء الراية منخفضة عندما تكون هناك حاجة إلى ذلك، فسيجعل هذا قرار التسلل أسرع. وهذا ما نريد تحقيقه من خلال هذه النسخة المتطورة من تقنية التسلل شبه الآلية."

كما أوضح كولينا أن أحد الابتكارات الجديدة في البطولة سيكون تثبيت كاميرات على ملابس الحكام، وهي تهدف إلى استكشاف ما إذا كان بإمكان زاوية الكاميرا الجديدة تحسين تجربة مشاهدة المباريات، من خلال عرض مجريات اللقاء من زاوية رؤية الحكم."

بايرن ميونخ يطارد لقبه الثالث في مونديال الأندية

برلين - ستكون الطموحات عالية في معسكر بايرن ميونخ الألماني حينما يخوض منافسات كأس العالم للأندية في كرة القدم بالولايات المتحدة بعد خمسة أعوام من فوزه بلقبه الثاني في المونديال.

ويلعب النادي البافاري ضمن المجموعة الثالثة بمونديال الأندية إلى جوار أندية أوكلاند سيتي النيوزيلندي وبنفيكا البرتغالي وبوكا جونيورز الأرجنتيني، وسيبدأ مشواره بملاقاة أوكلاند اليوم الأحد.

وسبق لبايرن الصعود إلى منصة التتويج في مونديال الأندية مرتين من قبل، الأولى في عام 2013 حينما تفوق على الرجاء المغربي صاحب الأرض بهدفين دون رد في النهائي، ثم عاد وكرر الإنجاز في 2020 بتفوقه على تيجرز أونال المكسيكي في النهائي بهدف نظيف.

ويخوض بايرن مونديال الأندية في أميركا بكوكبة من ألمع النجوم على مستوى العالم، يتقدمهم الهداف التاريخي لمنتخب إنجلترا هاري كين والفرنسي ميكايل أوليسيه وثنائي منتخب ألمانيا جوشوا كيميتش وليروي ساني.

وسيكون النادي البافاري مرشحا فوق العادة لحصد اللقب نظرا إلى تاريخه في معانقة الألقاب، آخرها لقب البوندسليغا في الموسم الماضي.

وتأسس بايرن ميونخ عام 1900 على يد أحد عشر لاعبا بقيادة فرانز يون، ورغم فوز بايرن بأول بطولة وطنية له عام 1932، إلا أنه لم يتم اختيار النادي للمشاركة في الدوري الألماني خلال نشأته عام 1963.

وبدأت نجاحات النادي البافاري في منتصف السبعينات عندما فاز تحت قيادة فرانز بيكنباور بكأس أوروبا ثلاث مرات متتالية بين عامي 1974 و1976.

وبشكل عام فاز بايرن بستة ألقاب في كأس أوروبا/دوري أبطال أوروبا (وهو رقم قياسي ألماني)، وفاز بلقبه السادس في عام 2020 كجزء من الثلاثية (بجانب لقب الدوري والكأس المحليين)، وأصبح ثاني ناد أوروبي يحقق هذا الإنجاز مرتين.

كما فاز بكأس الاتحاد الأوروبي مرة واحدة، وكأس أبطال الكؤوس الأوروبية مرة واحدة، وكأس السوبر الأوروبي مرتين، وكأس العالم للأندية مرتين، وكأس الإنتركونتيننتال مرتين، وهو ما يجعله أحد أنجح الأندية الأوروبية على المستوى الدولي، والنادي الألماني الوحيد الذي فاز بكلا اللقبين الدوليين.

> فريق بايرن ميونخ الألماني سيكون مرشحا فوق العادة لحصد لقب مونديال الأندية نظرا إلى تاريخه في معانقة الألقاب

وحصد لاعبو بايرن ميونخ خمس كرات ذهبية، وجائزتي أفضل لاعب في الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، وخمس أحذية ذهبية أوروبية، وثلاث جوائز لأفضل لاعب في الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا)، بما في ذلك جائزة أفضل لاعب في الاتحاد الأوروبي.

كما حصد بايرن لقب الدوري الألماني 34 مرة ولقب الكأس عشرين مرة ولقب كأس السوبر الألماني عشر مرات.

وضمن بايرن ميونخ مقعده في كأس العالم للأندية عندما تم الإعلان عن نظام التأهل في ديسمبر 2023، إذ قدم النادي البافاري أداء قويا في دوري أبطال أوروبا خلال فترة التصفيات الممتدة لأربع سنوات من 2021 إلى 2024، حيث وصل إلى دور الثمانية على الأقل في كل موسم، وهذا جعله يتأهل عبر مسار التصنيف الخاص بالاتحاد الأوروبي لكرة القدم.

وحقق بايرن ميونخ 11 لقبا متتاليا في الدوري الألماني بين عامي 2013 و2023، قبل أن ينهي باير ليفركوزن بقيادة تشابي ألونسو هذه السلسلة المذهلة في موسم 2023 – 2024، كما يعتبر العملاق البافاري أكثر من فاز بلقب كأس ألمانيا برصيد 20 لقبا، كان آخرها في عام 2020.

البافاري رقم صعب في المسابقة

زفيريف يتأهل إلى نهائي شتوتغارت للتنس

شتوتغارت (ألمانيا) - تأهل الألماني ألكسندر زفيريف المصنف ثالثا عالميا إلى المباراة النهائية لدورة شتوتغارت في كرة المضرب التحضيرية لبطولة ويمبلدون، الثالثة في مسيرته الاحترافية على الملاعب العشبية والأولى منذ عام 2017، بفوزه على الأميركي بن شيلتون 7 – 6 (10 – 8) و7 – 6 (7 – 1) السبت في نصف النهائي.

ويمني زفيريف النفس بأن تكون الثالثة ثابتة لإحراز لقبه الأول على الملاعب الخضراء بعدما خسر مرتين في دورة هاله الألمانية عام 2016 أمام مواطنه فلوريان ماير وعام 2017 أمام السويسري روجيه فيدرر.

وبلغ زفيريف المباراة النهائية لثلاث من البطولات الأربع الكبرى (فلاشينغ ميدوز عام 2020، ورولان غاروس عام 2024، وأستراليا المفتوحة عام 2025)، لكنه لم ينجح قط في تخطي ربع نهائي ويمبلدون على الملاعب العشبية، كما أنه لا يملك أي لقب عليها ضمن 24 لقبا توج بها حتى الآن في مسيرته. وسيلتقي زفيريف في المباراة النهائية مع الأميركي الآخر تايلور فريتس السابع والفائز على الكندي فيليكس أوجيه-ألياسيم التاسع والعشرين 6 – 4 و7 – 6 (7 – 5).

> سأخوض أول مباراة نهائية لي على العشب منذ عام 2017. أحب اللعب على هذا النوع من الأرضيات

وقال زفيريف بعد فوزه في نصف النهائي "سأخوض أول مباراة نهائية لي على العشب منذ عام 2017. أحب اللعب على هذا النوع من الأرضيات. ستكون مواجهة قوية ضد تايلور."

وصمد زفيريف أمام الإرسالات القوية لشيلتون في مباراة لم ينجح أي منهما في كسر إرسال الآخر حيث فرض التعادل نفسه حتى الشوط الثاني عشر، وكان الحسم بشوطين فاصلين كسبهما الألماني 10 – 8 في الأول خلال 64 دقيقة، و7 – 1 في الثاني الذي استغرق 56 دقيقة.

وهو الفوز الثالث لزفيريف على شيلتون في ثلاث مواجهات بينهما حتى الآن، والثاني هذا العام بعدما تغلب عليه في نهائي دورة ميونخ الألمانية في 20 أبريل الماضي.

العرب
الأحد 2025/06/15
السنة 48 العدد 13515

رحلة الزخرفة في المساجد التركية بين الفن والتاريخ

يعمل فنانان تركيان في بورصة على ترميم وتزيين المساجد والمعالم التاريخية بفنّيْ الزخرفة اليدوية والخط العربي، محافظين على التراث الإسلامي العريق، ويواجهان تحديات العمل في أماكن مرتفعة، بدافع الشغف ونقل هذين الفنين إلى الأجيال القادمة.

الخط واللون في حوار فني

بورصة (تركيا) - في مدينة بورصة شمال غربي تركيا يعمل نقاشون، من خلال الاستخدام البارع لفنون الزخرفة اليدوية والخط العربي، على تزيين وترميم المساجد والمعالم التاريخية، محافظين على روح هذا التراث العريق.

عمار ياسر غولر (33 عامًا) وبلال دليكطاش (41 عامًا)، تركيان بدآ مسيرتهما الفنية في سن مبكرة في بورصة، ويكرسان جهودهما لنقل فن الزخرفة اليدوية المتوارث عبر الأجيال إلى المستقبل.

ويعمل التركيان على تزيين القباب العالية والزوايا التي يصعب الوصول إليها في المساجد والمباني التاريخية، مستخدمين فُرشًا دقيقة وطويلة.

ويعكف النقاشان حاليًا على مجموعة من أعمال الترميم في شاهدة قبر الشيخ المتصوف محمد محي الدين أفتاده (1490 – 1580)، أحد رموز مدينة بورصة، وذلك بتكليف من وزارة الثقافة والسياحة التركية.

ويواصل النقاشان أعمالهما الإبداعية لاسيما في مجال فن الزخرفة اليدوية وفق الأساليب التقليدية المتوارثة منذ قرون، وذلك باستخدام تصاميم مبتكرة وتنفيذها في الأجزاء العليا من المباني التاريخية والمساجد، للحفاظ على هذا التراث الثقافي ونقله إلى الأجيال القادمة.

وأوضح غولر أنه بدأ تعلم هذه المهنة على يد أحد أقاربه، أثناء العطل المدرسية في عملية تعلم جاءت على مراحل حتى تحولت إلى شغف يملأ قلبه.

وذكر غولر أن مسيرته المهنية بدأت سنة 2007 في مسجد الفاتح بمنطقة تبه باشي في مدينة أسكي شهر (غرب تركيا)، وأنه أدرك منذ ذلك الوقت أن هذه المهنة تحتاج إلى حب حقيقي للاستمرار.

وقال "رحلتي التي بدأت في أسكي شهر قادتني إلى العمل في شاهد قبر الشيخ المتصوف محمد محيي الدين أفتاده."

وأضاف "عندما أتقنا العمل وسعينا للإسهام في إثراء الحالة الفنية، تمكنا من العمل في أماكن تاريخية مهمة مثل تكية مولانا ومحراب الجامع الكبير وجامع خداوندكار في بورصة."

وتابع "في مهنتنا نذهب حيث يكون العمل، لذلك لا يقتصر عملنا على بورصة فقط، بل نعمل في جميع أنحاء تركيا. نحن نعمل في جميع المساجد الجديدة والتاريخية."

ولفت غولر إلى أنهم قاموا بتزيين بعض المساجد المبنية حديثًا بأسلوب يعكس الحداثة مع المحافظة على الأسلوب التقليدي في العمل، وأنهم يبدأون عملهم من القبة وصولاً إلى الأسقف.

وقال "يجب أن تكون لدى الفنان العامل في هذا المجال رؤية واسعة. بعد التصميم نحدد مقياس مساحة العمل. ونحدد الألوان والأنماط ثم نقوم برسمها يدويًا، قبل البدء بالعمل انطلاقًا من مركز القبة باتجاه السقف."

وأردف "نستخدم القوالب لإنجاز هذا العمل. كما نستخدم فَراشي دقيقة جدًا وطويلة. الأعمال التي ترونها تُنجز باستخدام هذه الفراشي."

وأشار غولر إلى أن العمل يصبح أكثر صعوبة خاصة في القباب والهياكل العالية. وأضاف "لا يكون العمل صعبًا عندما نعمل في مركز القبة، بل في الأسقف، لأننا نضطر إلى العمل دائمًا رافعين رؤوسنا إلى الأعلى. آلام الرقبة والظهر، للأسف، جزء من مهنتنا."

لكن عزيمتهم تدفعهم إلى مواصلة العمل من أجل بلوغ الهدف المتمثل في إنتاج عمل يمكن أن يكون جزءًا من التراث الثقافي والفني للحضارة التركية الإسلامية، متجاهلين جميع المتاعب، وفق حديث غولر.

من جهته قال بلال دليكطاش إنه يعمل في مهنة النقش منذ 2009، وإنه بدأ العمل في هذه المهنة من خلال المشاركة أولًا في أعمال الترميم، ثم انتقل لاحقًا إلى تزيين المساجد. وأوضح أنه كان يرسم على ظهر دفاتره المدرسية منذ الصغر رسوما مستمدة من الزخارف الإسلامية.

وبعد ذلك توجه إلى فن الخط العربي. ثم زاد إعجابه بالزخرفة. بعد ذلك تلقى تدريبًا في ترميم الزخارف، وبدأ العمل في هذه المهنة بعد أن خضع لدورة تدريبية.

وأشار دليكطاش إلى أنهم يعملون في العديد من الأماكن التاريخية والحديثة داخل تركيا وخارجها، وأنهم يلتزمون بتزيين كل مسجد بزخارف خاصة ومميزة تختلف عن الأخرى.

وعن أعمال الترميم التي يقومون بها في الآثار التاريخية قال "نظرًا لارتباطنا العاطفي بهذه الأعمال، فإننا نوليها اهتمامًا خاصًا."

وأضاف "نحن لا ننظر إلى هذا العمل كوظيفة فحسب، بل نعتبره خدمة مهمة للتاريخ والأعمال الفنية التي صنعها الأجداد."

وأوضح دليكطاش أنهم يعملون في مساجد ذات أسقف ترتفع إلى 12 أو 18 أو حتى 30 مترًا.

صباح العرب

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

الصوت الاستثنائي

الصوت الاستثنائي لأم كلثوم ليس وليد الحنجرة القوية فقط، وإنما هو نتاج الثقافة التي ترسخت في مسيرتها منذ أن بدأت طفلة تتنقل مع والدها للإنشاد في الموالد والأفراح، حيث غاصت في عبقرية الضاد من خلال حفظها لعيون الشعر العربي، وتمكنت من السيطرة على مخارج الحروف، وألبست حبالها الصوتية ثوب الجلال المنسوج من حرير المعرفة بأصول اللغة ومنازل الأداء، ما جعل عميد الأدب العربي طه حسين يقول "إن أم كلثوم بصوتها النادر في امتيازه سواء في الجمال أو في سلامة نطق اللغة العربية ساهمت عندما غنت القصيدة في إثبات جمال اللغة وطواعية موسيقاها حتى في أصعب الكلمات لموسيقى الغناء، وكان لصوتها فضل في انتشار الشعر العربي على ألسنة العامة والخاصة."

العنفوان الكلثومي تجسد كذلك في قوة شخصية سيدة الغناء العربي، عندما أحاطت نفسها بكبار الشعراء والملحنين والعازفين والكتّاب الصحافيين، فتورط أغلبهم في حبّها، واستلهموا منها إبداعا سرعان ما أدته بصوتها، وإذا بها تغني للملايين أعمالا فنية كانت في الأصل قد كتبت في شخصها، كقصيدة "سلوا كؤوس الطلا" التي جادت بها قريحة أمير الشعراء أحمد شوقي بعد أن دعا الستّ إلى سهرة في مجلسه في كرمة ابن هانئ بحضور نخبة من نجوم المجتمع، وعندما دارت الكؤوس لاحظ أن أم كلثوم أمسكت بالكأس دون تلمسه بشفتيها، فعرف أنها لا تشرب الخمر، وفي اليوم الموالي وصلها منه ظرف مغلق، ما إن فتحته حتى وجدت به ورقة كتبت عليها قصيدة "سلوا كؤوس الطلا هل داعبت فاها واستخبروا الراح هل مسّت ثناياها" التي لحنها في ما بعد رياض السمباطي، لتكون فاتحة الشوقيات التي أدتها في ما بعد، ومنها "سلوا قلبي" و"ولد الهدى" و"نهج البردة" و"النيل".

وسيذكر التاريخ على الدوام دور أم كلثوم السياسي والاجتماعي، وهي التي بلغت من الشعبية ما جعل الزعماء والقادة يسعون للتقرب منها، والاستفادة من قدرتها على التأثير في الجماهير داخل مصر وخارجها. قال عنها الأديب الكبير يوسف السباعي "إنها نسيج نادر لا يجود به الدهر إلا بعد أجيال وأجيال وسيبقى فن أم كلثوم تراثا خالدا تتغنى به الدنيا وسيظل مشعلا هاديا يضيء طريق الفن العربي."

اليوم لا تزال كوكب الشرق بعد 50 عاما من رحيلها في مقدمة كتاب المعاني الجميلة للفن والإبداع، تحظى بهالة المجد التي أحاطتها بها رحلة التاريخ على امتداد عقود طويلة من التميّز، وسيبقى صوتها شاهدا على عبقرية الشرق وقدرته على الإتيان بالمعجزات كلما توفرت فرص الانطلاق في اتجاه الإسهام الفعلي في حضارة الإنسان.

ديفيد بيكهام يحصل على لقب فارس

لندن - مُنح قائد منتخب إنجلترا السابق لكرة القدم وأيقونة الموضة العالمية ديفيد بيكهام لقب فارس الجمعة من الملك تشارلز الثالث، تقديرا لخدماته في مجالي الرياضة والأعمال الخيرية.

بيكهام الذي حمل ألوان المنتخب الإنجليزي 115 مرة، ولعب مع عدد من أبرز الأندية الأوروبية، في مقدمتها مانشستر يونايتد وريال مدريد الإسباني، سيحمل من الآن وصاعدا لقب "سير" وزوجته فيكتوريا، مغنية فرقة سبايس غيرلز السابقة، لقب "ليدي بيكهام".

وعُيّن بيكهام (50 عاما)، الذي تم تداول اسمه مدة طويلة للحصول على لقب فارس، ضابطا في رتبة الإمبراطورية البريطانية في عام 2003 –وهو تكريم أدنى في النظام البريطاني. ونالت فيكتوريا لاحقا الوسام نفسه لخدماتها في صناعة الأزياء.

وقال بيكهام في بيان "نشأت في شرق لندن في عائلة وطنية وفخور بانتمائي البريطاني، لكن لم أتخيل أبدا أني سأنال مثل هذا التكريم."

وتابع بيكهام، الذي اعتزل كرة القدم في عام 2013، "أنا محظوظ جدا لأني قادر على القيام بعملي وممتن للتقدير الذي أناله."

ونالت شخصيات رياضية أخرى سابقا هذا اللقب على غرار مدرب بيكهام السابق في مانشستر يونايتد، الأسكتلندي أليكس فيرغوسون، ونجم كرة المضرب الأسكتلندي أندي موراي.

يرأس بيكهام حاليا نادي إنتر ميامي الأميركي حيث يملك أيضا حصة كبيرة في ملكيته، كما أنه المالك المشارك في نادي سالفورد سيتي الذي يلعب ضمن الدرجة الرابعة في إنجلترا.

وأدرجت مجلة "تايم" الشهر الماضي بيكهام ضمن قائمة المئة من القادة الأكثر تأثيرا في مجال العمل الخيري.

وتردد سابقا أن بيكهام كان على مشارف الحصول على الوسام المرموق بعد مساعدة لندن على نيل استضافة الألعاب الأولمبية في عام 2012، إلا أن السلطات البريطانية رفضت الأمر بحجة تورطه في تهرب ضريبي، بحسب العديد من التقارير، قبل أن تتم تبرئته.

وحتى في ذروة مسيرته الكروية، كان بيكهام يفكر في بناء علامة تجارية عالمية بعد اعتزاله. وقد استحوذت أزياؤه وتسريحات شعره الغريبة على اهتمام الصحف البريطانية الشعبية.

كما نجح في تجاوز مرحلة وصْفه بـ"الرجل الأكثر تعرضا للكراهية" في بريطانيا، بعد تعرضه للطرد في مباراة إقصائية ضمن مونديال 1998 أمام الأرجنتين.

جميلة عوض تعود إلى السينما بـ«في عز الظهر»

القاهرة - تستعد دور العرض السينمائي لاستقبال فيلم "في عز الظهر" الأربعاء المقبل، الموافق لـ18 يونيو، في تجربة مختلفة تجمع بين الإثارة والدراما. ويشهد الفيلم أولى بطولات النجم العالمي مينا مسعود في السينما المصرية، إلى جانب الفنانة جميلة عوض التي تجسّد شخصية "ريم"، لاعبة باليرينا تعيش قصة حب رومانسية مع بطل العمل.

ورغم أن "في عز الظهر" يُمثّل عودة جميلة عوض إلى الشاشة الكبيرة بعد غياب دام أربع سنوات منذ آخر أعمالها السينمائية "المحكمة" عام 2021، فإن تجاهلها التام للترويج للفيلم عبر منصاتها الرسمية أثار علامات استفهام واسعة؛ إذ لم تنشر حتى البوستر أو البرومو، في خطوة لافتة أثارت الشكوك حول وجود خلافات بينها وبين صنّاع العمل، خاصة أن الفيلم ظل حبيس الأدراج لمدة ثلاث سنوات منذ انتهاء تصويره.

ويجمع الفيلم بين الأكشن والتشويق، ويتناول أزمات الهوية والانتماء من خلال شخصية شاب مصري (مينا مسعود) يُجنَّد ضمن عصابة دولية لتنفيذ عمليات إجرامية، قبل أن تقوده الأحداث إلى منعطفات درامية حادة بين ماضيه وحاضره.

ويشارك في بطولة "في عز الظهر" إلى جانب مينا مسعود وجميلة عوض كل من شيرين رضا وإيمان العاصي ومحمد علي رزق ومحمود حجازي ومحمد عز وبيومي فؤاد وإيهاب فهمي.

شوارع تونسية تتحوّل إلى مسرح مفتوح لعروض السيرك

تونس - تتواصل فعاليات الدورة الثامنة من المهرجان الدولي لفنون السيرك وفنون الشارع، التي انطلقت الخميس في العاصمة التونسية وتستمر حتى التاسع والعشرين من يونيو الجاري، مقدّمة عروضًا بهلوانية من تونس وإيطاليا وإسبانيا والمكسيك والأرجنتين وتشيلي وكينيا.

وقد تحوّل شارع الحبيب بورقيبة في تونس العاصمة، منذ الخميس، إلى مسرح مفتوح للفرجة والإبهار، حيث ازدحم بالعائلات والأطفال الذين غمرهم الحماس في ختام عام دراسي مثقل بالواجبات المدرسية والامتحانات.

استقطبتهم الألوان المزركشة، والإيقاعات الموسيقية النابضة بالحياة، وحركات المهرجين التي زرعت البسمة ونشرت الفرح، إلى جانب انبهارهم بالدمى العملاقة التي اخترقت الجموع وهي تلوّح برؤوسها الضخمة للأطفال الذين تبعوها مبهورين.

بدأ المهرجان جولته في عدد من المدن التونسية، حاملاً الفرح والفرجة إلى الشارع مجددًا. فقد حل السيرك، الجمعة، بكورنيش رادس، قبل أن ينتقل إلى ماطر بمحافظة بنزرت في الرابع عشر من يونيو، ثم إلى وسط مدينة صفاقس في الحادي والعشرين من الشهر نفسه، ليتابع لاحقًا رحلته إلى سيدي بوزيد، ثم سوسة، ويُختتم في مدينة زغوان.

ومن بين أبرز فعاليات هذه الدورة إقامة قرى فنية في الشوارع، حيث يتحوّل الفضاء العام إلى مسرح مفتوح.

البندقية لا ترحب بحفل زواج مؤسس شركة أمازون

روما - عُلّقت لافتة كبيرة على برج جرس يُطل على بحيرة البندقية، عليها صورة مؤسس شركة أمازون جيف بيزوس مشطوبة بعلامة حمراء، اعتراضا على زواجه الذي من المزمع أن يقام في نهاية يونيو الجاري.

ومن المقرر أن يحتفل الملياردير الأميركي البالغ 61 عاما وخطيبته الصحافية لورين سانشيز بزفافهما في البندقية من 24 إلى 26 يونيو، بحضور عدد كبير من كبار الشخصيات.

وفي منشور عبر فيسبوك كتبت مجموعة "نو سبايس لبيزوس" (لا مكان لبيزوس)، وهي التي علقت اللافتة التي أزيلت الخميس، وألصقت دعوة إلى مظاهرة ضد هذا الحدث: "غير مرحب به في البندقية وفي أي مكان آخر!"

وأكدت المجموعة عبر مواقع التواصل الاجتماعي أن "البندقية مدينة نابضة بالحياة، وليست مكانا للإيجار بأفضل الأسعار."